الفصل الثالث

أسلحة الحرب النفسية

المبحث الأول – أسلحة الحرب النفسية:

١- الدعاية .

٢- الشائعة.

٣- غسيل الدماغ.

المبحث الثاني – نماذج من الدعاية المعادية:

١- الدعاية اليهودية.

٢- الدعاية الشيوعية.

٣- الدعاية الغربية.

المبحث الأول
أسلحة الحرب النفسية

قلنا في الفصل الأول[1] إن الحرب النفسية هي حرب تغيير السلوك ومبدؤها هو الشخصية، لذلك فإن سلاحها هو الكلمات والأفكار من خلال ما يطلق عليه حديثا «الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ».

وقد اطّلعنا في الفصل الثاني على أسلحة الحرب النفسية قديماً مثل الخداع والتخويف والإرهاب، وإثارة الفتن والفرقة بين الجيوش المعادية..

بقي أن نعرف: أسلحة الحرب النفسية الحديثة، وهي لا تختلف عن الأسلحة القديمة من حيث الهدف، وإنما تختلف من حيث الأسلوب والوسيلة، فأسلوبها أسلوب مخطط على أسس علمية دقيقة ومدروسة .. ووسيلتها هي وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة يوماً بعد يوم... لذلك كان خطرها أكبر، وتأثيرها أوسع..

وقد اخترت ثلاثة أسلحة من أسلحة الحرب النفسية الحديثة وتعد أخطرها شأناً وهي:

أولاً: الدعاية.

ثانياً: الشائعة.

ثالثاً: غسيل الدماغ.

أولاً: الدعاية:

(١) **مفهوم الدعاية:** إن لكلمة دعاية[2] مفاهيم مختلفة، وذلك لتغير هذه المفاهيم على مدى التاريخ .. وما أدخل عليها من تعديلات.. ويرجح علماء اللغة في

---

(١) فقرة تعريف الحرب النفسية.

(٢) لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة عند المتقدمين، إلا أن أصلها قد ذكره الزمخشري في أساس البلاغة، مادة «دعو» ومنها: دعوت فلاناً إذا ناديته وصحت به، والنبي ﷺ داعي الله وهم دعاة الحق، ودعاة الباطل.

=

الدراسات اللاتينية أن الأب جريجوري هو أول من استخدمها عندما أسس « جمعية الدعاية المقدسة » عام ١٦٢٢م للقيام بالتبشير فيما وراء البحار[(١)] وإن كان هذا المفهوم لا يختلف عن المفهوم الذي استحدثه المعز لدين الله الفاطمي في مصر ٩٦٩ – ٩٧٥م عندما أسس وظيفة « داعي الدعاة» وسبق به البابا جريجوري بأكثر من ستة قرون[(٢)].

والحقيقة أن ورود كلمة « دعاية » بمفهوم الدعوة، كان قبل ذلك بكثير، وذلك عندما ذكرها ﷺ في رسالته إلى هرقل ملك الروم ونص الرسالة كما ورد في صحيح البخاري « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين و﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [آل عمران ٦٤] »[(٣)].

= وذكر الأزهري (كتاب تهذيب اللغة) وابن دريد (كتاب جمهرة اللغة) أيضاً معاني كثيرة لكلمة « دعاء» إلا أن الجميع لم يذكروا كلمة «الدعاية» مطلقاً.

أما المتأخرون مثل « أحمد رضا » عضو المجمع العلمي العربي بدمشق – وصاحب معجم متن اللغة فقد ذكرها في مادة « دعو » – معقباً على معنى الدعاوة « مصدر » وهي نشر الدعوة إلى شيء. قال: وهي الدعاية أيضاً وهذه اشتهرت كثيراً عند المتأخرين أهل العصر، ويعضدها الحديث الشريف الصحيح السند (ولم يذكر الحديث). إلا أنني بعد البحث في كتب السنة وجدت حديثين ولله الحمد يذكران كلمة الدعاية وسيردان في المتن بإذن الله في فقرة مفهوم الدعاية.

(١) الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام – عبد القادر حاتم – ص ١٣٥.

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه البخاري في كتاب الجهاد – باب دعوة اليهود والنصارى وعلى ما يقاتلون. وفي مسلم كتاب الجهاد والسير باب: كتب النبي ﷺ. =

وكذلك في رسالة النبي ﷺ إلى المقوقس عظيم القبط ونصها يشبه النص السابق[١].

وهكذا نستطيع أن نقول أن الدعاية بمفهومها الأصيل وهو الدعوة إلى أمر ما، كان الإسلام سابق فيها، وأنا أعجب كيف لم يفطن رجال الإعلام المسلمون عندما يؤرخون للدعاية لهذه الحقيقة.

ومفهوم الدعاية بمعنى الدعوة لا يختلف عن المفهوم الحديث للدعاية أو (البروباجنده) وهي كلمة إنجليزية مشتقة من الفعل Propagate ومعناه التنشئة والتنمية، ومفهومه نشر الآراء والعادات ونقلها من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل[٢]، إلا أن المعاصرين حدّدوا هذا المصطلح (الدعاية) ووضعوا له الأسس والأهداف والوسائل. واصطبغت بعد ذلك بصباغ الأكاذيب لتلميع الأفكار والآراء الخبيثة. ومن هنا انحط مفهوم الدعاية: من مفهوم الدعاية القائمة على الإقناع والوضوح لمادتها إلى مفهوم السيطرة على السلوك، والظفر بتأييد الجماهير بأي ثمن وبأي وسيلة، والغموض والإيحاء، وهكذا انقلبت صورة الدعاية من صورة جميلة قائمة على الخير والصدق إلى صورة قبيحة قائمة على الشر والخداع وعدم الأمانة. ولعل هذه الصورة اكتملت أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية.

= الأريسيون أو اليريسيون – على اختلاف الروايات – اختلف علماء الحديث واللغة في مدلول هذه الكلمة. والقول المشهور أن الأريسيين: ج أريس وهم الخول والخدم والأكارون . وجاء في لسان العرب «الأرسي» الأصل و«الأريس» الأكار نقله عن ثعلب (راجع شرح النووي لصحيح مسلم).

(١) المواهب اللدنية ج ٣ ص ٢٤٧ – ٢٤٨.

(٢) الرأي العام وتأثره بالدعاية والأعلام – عبد القادر حاتم ص ١٣٥.

ويختلف مفهوم الدعاية أيضاً من بلد إلى بلد، إذ تختلط بمفهوم التعليم.. ففي الاتحاد السوفيتي (قبل سقوطه) يرى الشيوعيون أن التعليم والدعاية شيء واحد، وليست الدعاية إلا توضيح عميق لكتابات ماركس وأنجلز ولينين[١].

وسنرى، بإذن الله، فيما بعد الأسلوب الذي استخدمت به الدعاية في كل من الشرق والغرب وما كان منه من عواقب وخيمة على الإنسانية ومبادئ الخير والصلاح.

(٢) **تعريف الدعاية** : عرّف العلماء الدعاية تعريفات كثيرة، فعلماء الاجتماع والنفس والعلوم السياسية ورجال الإعلام كل قد أدلى بدلوه في هذا المجال؛ فمن هذه التعريفات: « الدعاية هي نشر معلومات (حقائق، أو مبادئ أو مجادلات أو شائعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتأثير في الرأي العام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير»[٢].

وهذا التعريف يشتمل إذا حللناه على:

- معنى الدعاية : وهو نشر للمعلومات.
- مادة الدعاية: الحقائق أو المبادئ أو الأكاذيب.
- هدف الدعاية: تغيير اتجاه الأفراد والجماعات.
- وسائل الدعاية: وسائل الإعلام والاتصال بالجماهير من صحافة وإذاعة ورائي (تلفزيون) وغيرها..

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – إبراهيم إمام ص ٢١.

(٢) علم النفس الاجتماعي – د. زهران ص ٣٢١.

وهناك تعريفات تظهر الدعاية بأنها « فن » بالإضافة إلى أنها علم، قال بعضهم: « الدعاية هي فن التأثير والممارسة والسيطرة والإلحاح والتغيير والترغيب لقبول وجهات النظر أو الآراء أو الأعمال أو السلوك»[١].

وقال آخر: « يمكن تعريف الدعاية بأنها النشاط أو الفن الذي يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط »[٢]. ومما دفع هؤلاء إلى القول بأن الدعاية فن هو أن القضية ليست قضية نشر معلومات فقط، وعرضها بدون اهتمام بالأسلوب الذي يجب أن تبث به الدعاية.. وإلا كان نجاحها مشكوكاً فيه.. وبإدخال عنصر الفن على الدعاية يتضح أمامنا لماذا نجح بعض الزعماء في استمالة الجماهير إليهم ولم ينجح البعض الآخر؟.

(٣) أنواع الدعاية: قسمت الدعاية « اصطلاحاً » من ناحية المصدر والهدف منها، أقساماً ثلاثة وهي:

١- الدعاية البيضاء: وهي دعاية معروفة المصدر، محدودة الهدف تسعى دائماً إلى خدمة أهداف نبيلة، وهي تعبر عن الدعاية الموجهة للتنوير والإعلام الصادق[٣].

٢- الدعاية السوداء: وهي غير معروفة المصدر، بل تدعى أحياناً أنها تصدر من مكان معين غير التي تصدر فيه حقيقة كالإذاعات السرية مثلاً، التي تدار من أرض محايدة أو على مقربة منها[٤] وتكون مقنعة ومستترة خفية، خافية الغرض، وتقوم على رفع الشعارات البراقة والكلمات الرنانة مثل (الديمقراطية والحرية والثورية والعدالة) وتطلق الأنماط والقوالب الجامدة (مثل الدكتاتور والخائن والمستعمرين والصهاينة والشيوعيين) وتستعمل التهويل والمبالغة وتتعمد اختيار جانب من

---

(١) الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام – عبد القادر حاتم – ص ١٣٩.

(٢) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم – لندلي فريزر – ص ٩.

(٣) الإعلام والاتصال بالجماهير – د. إبراهيم إمام ص ٢٩٩ – ٣٠٠.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٠٠.

الحقائق يخدم غرضها دون ذِكر باقي الحقائق، وتلجأ إلى الاختلاق والتشويه وتغيير الحقائق والأرقام، وتستخدم الصور (الكاريكاتورية) – التهكم – والسخرية وتعمد على التكرار حتى يؤمن الناس بالفكرة وإن كانت كذباً[١].

٣- الدعاية الرمادية (أو السمراء) : وهذا النوع من الدعاية وإن كان معروف المصدر، لكنها ترمي إلى غايات ملتوية ويبدوا أن الأمريكيين قد نبغوا في هذا النوع من الدعاية الرمادية منذ الحرب العالمية الثانية[٢].

وهناك تعريف آخر للدعاية السمراء قاله « مايلز كوبلاند» أحد رجال المخابرات الأمريكية ومؤلف كتاب « لعبة الأمم» إذ ميّز هذه الدعاية عن الدعاية السوداء والتي غايتها التشهير بالخصوم ومهاجمتهم بشكل مباشر، أما الدعاية السمراء فهي « التشهير بالخصوم عن طريق مدحهم والثناء عليهم»[٣]. وقد كان « بول لا ينبرجر» أكبر خبير أمريكي فيها « وكان يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية بأجهزة الإعلام الأمريكية، وكان يذيع باللغة الألمانية ما يظنه الألمان العاديون في مصلحة ألمانيا ولكن كان هدفه الحقيقي تحطيم الروح المعنوية للشعب الألماني»[٤] «ولا ينبرجر» هذا استعارته الحكومة المصرية بعد عام ١٩٥٤م لمعاونتها في تحطيم خصومها من الإخوان المسلمين عن طريق الدعاية السمراء بعد أن عجزت الدعاية السوداء في التشهير بهم لما كانت تتمتع به حركة الإخوان المسلمين في ذلك الوقت من هالة البطولة بسبب أعمالها الفدائية ضد القوات الإنجليزية في القنال (أي قناة السويس) وضد الإسرائيليين في فلسطين قبل ذلك، فضلاً عن مقاومتهم للشيوعية[٥].

---

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٢٣.

(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير – إمام – ص ٣٠٠.

(٣) لعبة الأمم – مايلز كوبلاند – ص ٣١٣.

(٤) نفس المصدر – ص ٨٤.

(٥) لعبة الأمم – مايلز كوبلاند – ص ٨٤.

وسنبسط هذا الموضوع، إن شاء الله، عندما نتحدث عن الحرب النفسية والدعوة الإسلامية وسنظهر بإذن الله الأساليب التي اتبعت في محاولة هدم الإسلام والحركة الإسلامية في مصر الأزهر عن طريق الدعاية السوداء والرمادية في عهد الثورة (بعد عام ١٩٥٤م).

ولعل تطبيق الحكومة المصرية بعد عام ١٩٥٤م الواسع للدعاية الرمادية – بالتعاون مع أجهزة الإعلام اليهودية كما يقول كوبلاند[١] أقول لهذا السبب لم يتطرق صلاح نصر رجل المخابرات المصرية الأول في كتابه (الحرب النفسية) ذي الجزئين الكبيرين لهذا النوع من الدعاية سوى جملة قصيرة وهي: (دعاية رمادية: لا توضح أي مصدر) فقط.. بينما ملأ ٢٥ خمساً وعشرين صفحة من أنواع الدعاية الأخرى..

وقسمت الدعاية أيضاً من حيث التوقيت إلى نوعين:

أ- دعاية إستراتيجية.

ب- دعاية تكتيكية.

أ- الدعاية الإستراتيجية: تُوجه ضد قوات العدو، وضد شعوب العدو، وضد المناطق التي يحتلها العدو متناسقة مع تخطيط إستراتيجي، وتوضع بقصد تكملة نتائج مخططة ينشد تحقيقها على مدى أسابيع أو شهور أو سنوات.. وتدار هذه الدعاية دون أن يكون لها تأثير مباشر واضح مرئي، وغرضها إجهاد العدو بتغييرات نفسية (سيكلوجية) يمكن أن تمتد على مدى شهور[٢].

ب- دعاية تكتيكية: وهي توجه لمستمعين معينين يذكر أسماؤهم في الغالبية وتعد وتنفذ لتعضيد عمليات القتال المحلية. وهي لهذا هدفها قصير الأجل وخلال فترة زمنية محدودة، على عكس الدعاية الإستراتيجية[٣].

---

(١) لعبة الأمم – مايلزكوبلاند ص ١٥٦ – وانظر الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية.

(٢) الحرب النفسية – صلاح نصر – ج ١ ص ٤٤٠.

(٣) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٤٤٠.

(٤) **وسائل الدعاية**: إن وسائل الدعاية هي وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون) وصحيفة وكتاب وغيرها.. إلا أن الوسيلة المهمة في هذا المجال هي الإذاعة، حتى إنه أطلق على الحرب الدعائية: حرب الإذاعة.. ورأينا دورها في الحرب العالمية الثانية من قبل الخلفاء ودول المحور.

ومع انتشار وسائل الإعلام سهلت العملية الدعائية ويمكن تحديد وسائل الدعاية بما يلي:

١- الوسائل الصوتية أو السمعية: وهي الإذاعة، والخطابة، والشائعات، والأناشيد.. إلخ.

٢- الوسائل المرئية أو البصرية وتشمل الفنون: مثل اللوحات، والنحت، والشارات، والألوان، والعلامات التجارية، والأزياء، والأوسمة، والشعارات..

٣- الوسائل الصوتية المرئية وتشمل الرائي (التلفزيون) والأفلام السينمائية.. والمسرح ..

٤- الوسائل المقروءة أو المطبوعة - وتشمل الصحف والمجلات والكتب والكتيبات والنشرات واللافتات والملصقات..

٥- المؤسسات والبعثات: وتشمل المؤسسات الثقافية والرياضية والمستشفيات وغيرها وتشمل كذلك البعثات في الخارج.

٦- الاجتماعات: وتعقد في مناسبات معينة كما في حملات الدعاية الانتخابية.

٧- المؤتمرات الصحفية: وتعقد بصفة خاصة في الدعاية السياسية[1].

(٥) **نفسية (سيكلوجية) الدعاية**: عرفنا أن الدعاية نشاط أو فن يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط.

---

(١) ارجع إلى:

١- علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٣٢٤.

٢- الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - حاتم - ص ٩٦.

ولكن كيف تعمل الدعاية عملها المؤثر هذا؟ وما هو أسلوبها في هذا المجال؟

وهل الدعاية ناجحة دائماً ؟ وما هي أسس الدعاية الناجحة؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة بإيجاز يمكننا القول : إن من أهم الأساليب التي تستخدمها الدعاية : الإيحاء والاستهواء والإقناع[١] وبرجوعنا إلى معاني هذه الكلمات في علم النفس نجد أن: الإيحاء والاستهواء والتلقين « هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحصاً دقيقاً. والفكرة الموحى بها إليه تكون في الغالب كافية كأساس للعمل، فإن يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع. فالإيحاء (هو المنبه) يدفع حركة سلوك الإنسان على أساس تحضير سابق»[٢] وهو أيضاً « محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والفحص.

وكل إنسان، إن كان كثيراً أو قليلاً، قابلاً للإيحاء. وتزداد القابلية للإيحاء في حالات ضعف الذكاء والنقص العقلي عادة، وضعف القدرة على التمييز والنقد والتكامل كما تزداد في حالات النوم الصناعي»[٣].

إذاً – فرجل الدعاية لا يعتمد على المنطق ، أو الإقناع العقلي، للتأثير في سلوك الآخرين.. ولهذا السبب تعتمد الدعاية على العاطفة وليس على العقل وأن الغاية النهائية للدعاية هي غاية عاطفية بالرغم من محاولتها ارتداء ثوب العقل.

ولكن ما هي العواطف التي تحاول الدعاية أن تستهويها؟ إنها تحاول استعمال جميع العواطف الإنسانية: كالخوف واحترام الذات والتفاخر والطموح وحب العائلة... وتستغل هذه العواطف حسب الحاجة والظروف ..وكذلك تستغل

---

(١) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص ٣٢٤.

(٢) معجم مصطلحات علم النفس – منير وهيبة الخازن مادة: الإيحاء . الاستهواء . التلقين .

(٣) المصدر السابق نفس المادة.

الدعاية أحياناً حُب الجماعة لمصالحهم الدنيوية وخاصة إذا كانت الجماعة ليست على قدر كبير من الوعي وعندها قابلية للإيحاء الوجداني والانفعال، وقابلية سرعة التصديق فتثير هذه الجماعة ضد خصومها ..

وفي الحقيقة أنه ليس كل شخص قابلاً للإيحاء والاستهواء والتلقين، فبعض الناس يتقبل كل ما يسمع أو يقرأ، في حين نرى البعض لا يكاد يصدق شيئاً، بل يجادل ويناقش ويشك.. كما أن قابلية الاستهواء تختلف في الفرد الواحد في أحواله المختلفة. ودرجة الوعي هي الميزان في هذا، وكذلك الإيمان بالله، فالإنسان المؤمن الواعي لا يحكم حتى يتبين وهذا ما علمنا إياه القرآن بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات ٦] .

ولكن ما دور الإقناع العقلي في الدعاية؟

والواقع قد لا يقتنع الفرد أو الجماعة التي توجه إليها الدعاية بما يقول رجل الدعاية بالأساليب السابقة.. هنا يلجأ رجل الدعاية إلى بعض العمليات العقلية مثل التسويغ في حالة الظروف القاسية التي لا يمكن تحاشيها، وحين يتوقع معارضة الجمهور الذي يوجه إليه دعايته، فيلجأ إلى إقناعه بالعقل أولاً..

ويجب أن لا نهمل دور التكرار في الدعاية لِلَفت الأنظار وجذب الاهتمام إلى أن تصبح الأكذوبة حقيقة، حتى عند رجل الدعاية نفسه، تطبيقاً للمثل القائل : « إكذب ثم إكذب ثم إكذب حتى تصدق نفسك ».

وفي مجال الدعاية البيضاء، نجد أنها تعتمد على العاطفة والعقل أيضاً وهذه الدعاية تسعى إلى تغيير سلوك الإنسان كلياً، وعاطفته العميقة الجذور.

ثانياً: الشائعة:

لقد لاحظ علماء النفس والمهتمون بالحرب النفسية أن الشائعة وسيلة مهمة من وسائل الحرب النفسية، بل هي سلاح من أفتك أسلحتها، لما لها من خاصية سرعة

الانتشار؛ فهي تضعف الصف، وتقسم الكلمة، وتبلبل نفسية الجماهير، وتفقدها ثقتها بحكومتها إن كانت موجهة من العدو، وكذلك تشككها بقدرة جيشها.

وسنحاول في هذه الدراسة إعطاء فكرة تساعد على فهم الشائعة أولاً، ومن ثم مقاومتها، والإطلاع على وسائل العدو في استخدامها.

(١) **تعريف الشائعة**: يعرف « ألبورت وبوستمان » الشائعة في كتابهما « سيكولوجية الشائعة » بأنها : « اصطلاح يطلق على رأي أو موضوع معين مطروح كي يؤمن به من يسمعه، وهي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل»[١].

ومن هذا التعريف نجد أن الشائعة تتألف من ثلاثة عناصر هي:

- أنها موضوع معين مطروح بشكل مقصود .
- هذا الموضوع يتناقله الأفراد.
- سريان الشائعة لا يحتاج إلى برهان لتصديقها.

ومن خلال دراستنا للشائعة سنعرف مقدار دور كل من هذه العناصر الثلاثة في تحقيق أهداف الشائعة.

(٢) **أهداف الشائعة**: يمكن إيجاز أهداف الشائعة بما يلي:

١- تدمير القوى المعنوية للخصم وتفتيتها - وذلك ببث الشقاق والعداء وعدم الثقة بين أفراده أو بين قادته مهتدية بمبدأ « فرق تسد ».

٢- الإرهاب وبث الرعب في النفوس وذلك بتضخيم قوى الخصم التي لا تغلب.

٣- استخدام الشائعة على أنها ستارمن الدخان لإخفاء حقيقة ما. وهذا الأسلوب يعتمد على النظرية القائلة: « إن الشائعة يمكن أن تُخفى الحقيقة » فيُقْدِمُ

---

(١) الحرب النفسية - صلاح نصر ج ١ ص ٣٠٤.

أحدُ الجانبين المتحاربين على تسريب معلومات، وبذلك يصعب على الجانب الآخر اكتشاف الأخبار الحقيقية من الأخبار الكاذبة.

٤- تستخدم الشائعة أيضاً على أنها طعم بقصد إظهار الحقيقة من الجانب الآخر.

٥- وتستخدم أيضاً للحطّ من شأن مصادر الأنباء المعادية[١].

(٣) تصنيف الشائعات: حاول بعض علماء النفس استخدام معيار الوقت في تصنيف الشائعات وتقسيمها إلى ثلاثة أنواع:

١- الشائعات الزاحفة: وهي التي تروج ببطء ويتناولها الناس همساً وبطريقة سرية تنتهي في آخر الأمر إلى أن يعرفها الناس جميعاً.

٢- شائعات العنف: وهي التي تتصف بالعنف، وتنتشر بسرعة انتشار النار في الهشيم، وهذا النوع من الشائعات، تصل إلى جماعة كبيرة من الناس في وقت قصير.. ومن نمط هذا النوع من الشائعات تلك التي تروج عن الكوارث أو الانتصارات أو الهزائم الحربية.

٣- الشائعات الغائصة: وهي التي تروج أولاً ثم تغوص تحت السطح ثم تظهر ثانية عندما تتهيأ لها الظروف بالظهور، وهذا النوع من الشائعات غالباً ما يُروَّج ضد رجال الحكم في شكل حملات هامسة للنيل من سمعتهم أو التشكيك في نزاهتهم وغالباً ما تأخذ شكل الفكاهة أو النكات[٢].

وحاول البعض الآخر تصنيف الشائعات حسب موضوعها ومن هذه الشائعات:

---

(١) علم النفس الاجتماعي – حامد زهران . ص ٣٦٠.

(٢) ارجع إلى: علم النفس الاجتماعي – د. حامد زهران ص ٣٦١ ومجلة العربي العدد ٩٤ مقال: سيكولوجية الإشاعة.

١- شائعات الأحلام والأماني: وتستخدم للتنفيس عن الأماني والحاجات التي عند الناس.

٢- شائعات الخوف: وتنتشر أثناء الأزمات والحروب.

٣- شائعات الكراهية: وهي تعبر عن شعور الكراهية ودوافع العدوان عند الناس[١]. وهذا النوع من الشائعات هو الذي أطلق عليه بعض العلماء شائعات الدوافع النفسية[٢].

ومن الدراسة الميدانية للشائعات وأنواعها ونسبة وجودها في المجتمعات، ذلك الإحصاء الذي أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٤٢م حيث درست ألف شائعة فوجد أنها تتوزع كالآتي:

١- ٦٦٪ من الشائعات كانت شائعات العداء.

٢- ٢٥٪ منها كانت شائعات الخوف.

٣- ٢٪ منها كانت شائعات التمنّي.

٤- ٧٪ منها كانت شائعات من أنواع مختلفة.

وقد وُجد أن شائعات الخوف والتمنّي ما لبثت أن تغيرت طبيعتها باقتراب انتصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وكذلك لوحظ أن غالبية الشائعات كانت من طبيعة شريرة وتعبر عن عداء ضد هذه الجماعة أو تلك[٣].

(٤) نفسية (سيكولوجية) الشائعة: إن الشائعة ظاهرة نفسية لها دلالة ولها معنى، وكذلك لها دوافع خاصة دفعت إلى ظهورها وسببت سرعة انتشارها بين الناس،

---

(١) مجلة العربي العدد ٩٤ جمادى الأول ١٣٨٦ (أيلول ١٩٦٦) مقال: سيكولوجية الإشاعة - د. فاخر عاقل.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مجلة العربي - العدد ٩٤ مقال سيكولوجية الإشاعة - د. فاخر عاقل ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

ولهذا كله اندفع علماء النفس الاجتماعي إلى دراستها وتبيان العمليات النفسية التي تستند عليها.

فمن حيث الأساس النفسي للشائعة، أثبت علماء النفس من اتباع مدرسة الجشتلت[*] «gestalt» أن العمليات النفسية تأخذ بصياغة أشكال متكاملة ويكره العقل أن يجد فراغات فهو يعمل دائماً على تكميل الصورة وتماسكها، غير أن هذا التكميل أو ملء الفراغات يتأثر بميولنا واتجاهاتنا وخبراتنا السابقة، فإذا كانت هذه الاتجاهات طبيعية نحو القضية أو الشخص الذي تكون عنه الصورة فإن عملية التكميل تكون محبذة ومؤيدة، أما إذا كانت هذه الاتجاهات سلبية فإن عملية التكميل تنطوي على الكراهية والنفور والتشهير، ونأخذ مثالاً على ذلك؛ تصور الإنسان للحرب: « لما كانت الحرب بطبيعتها نكوصاً إلى السلوك البدائي فإن الشائعات المتمشية مع هذا السلوك لابد وأن تتسم هي الأخرى بالأخيلة الفظة الغليظة..»[1].

ومما لاشك فيه أن الشائعات تتأثر بخلفياتنا الفكرية والعقدية وأهوائنا ومن الممكن أن تتم الشائعة بها، وأيضاً، فإن جو الحرب يساعد على سريان الشائعة واتساعها.

أما عن ظهور الشائعة وسريانها في الناس فقد أوضحها العالم « بيساو » « مبيناً أن هذه العمليات تتم في ثلاث مراحل: أولها: إدراك الحادث من جانب شخص أو

(*) مدرسة « الجشتلت» أو مدرسة « علم النفس الشكلي» . ولفظ « جشتلت » أو الشكلية كلمة ألمانية أصبحت الآن كلمة دولية تفيد معنى الصيغة أو الشكل، ومن أهم القضايا التي تقررها هذه المدرسة:

١- أن الإدراك يكون موجهاً في بادئ الأمر نحو الشكل الكلي لا نحو الأجزاء.

٢- خصائص الصيغة هي غير مجموع خصائص أجزائها التي تكونها.

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – د. إبراهيم إمام ص ٢٥٥.

عدة أشخاص، ويرجع اهتمامهم بالحادث إلى المغزى الاجتماعي لهذا الحادث، وصداه في نفوسهم، ثم تجري عمليات التنقيح بالحذف والإضافة حتى تتمشى العناصر المكونة للشائعة بعضها مع بعض من جهة ومع ثقافة المجتمع من جهة أخرى، وعندما يتم التنقيح والتعديل بصورة تجعل الشائعة مستساغة متقبلة سهلة الاستيعاب، فإنها تنطلق وتسري بين الجماهير، فكأن المراحل الأساسية لظهور الشائعة وسريانها هي الإدراك الانتقائي والتنقيح بالحذف والإضافة والاستيعاب النهائي تمشياً مع المعتقدات والأفكار والقيم السائدة في المجتمع»[١].

«ويذهب ألبورت وبوستمان» إلى أن سريان الشائعة يخضع لشرطين أساسيين: أما الشرط الأول فينطوي على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمستمع .. وأما الشرط الثاني فهو الغموض الذي يطوي الحادث ويغلفه. والحق أن الشائعة مزيج عجيب من الوقائع والتخيلات ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلهما عن الجوانب الخيالية.. ويؤكد الباحثان أن الشرطين الأساسيين للشائعة وهما الأهمية والغموض يرتبطان ارتباطاً كمياً على وجه التقريب فيما يبدو بسريان الشائعة، والمعادلة التي تعبر عن ذلك تصاغ هكذا:

سريان الشائعة = الأهمية × الغموض[٢].

ونلاحظ أن العلاقة بين الأهمية والغموض هي علاقة ضرب، وهذا يعني أن انعدام أحدهما يعني انعدام الآخر أي يجب وجودهما معاً.. والغموض الذي هو أحد عناصر سريان الشائعة ينتج عن انعدام وسائل الاتصال، أو فقدان الأخبار الموثوقة، أو أمثال ذلك من الأسباب التي تكثر أثناء الحروب، أو في البلاد التي

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير – إبراهيم إمام ص ٣٤٦ وكذلك ارجع إلى مقال الدكتور فاخر عاقل في مجلة العربي « سيكولوجية الإشاعة » العدد ٩٤ – ١٣٨٦/ ١٩٦٦.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٧.

مزقتها الحروب، أو بين الجماعات المعزولة كبعض الفرق الحربية، أو بعض الجماعات النائية. كما قد ينأى الغموض على الأخبار وسواها. ولهذا السبب الآخر نجد الشائعات تكثر في الدول التي تحكمها النظم الاستبدادية.. والتي لا تذيع من الأخبار إلا بما فيه مصلحتها..وحتى إن الشائعات لتدور في هذه الدول حول المواد الغذائية والتي تأتي أهميتها في الدرجة الأولى للإنسان العادي، وقد يكون مصدر الشائعات، وهذه الدولة ذاتها لتربط الناس جميعاً بلقمة العيش والجري الدائم لتأمينها، ويتم لها بذلك إبعادهم عن الاهتمام بحريتهم وكرامتهم.

ونتساءل بعد ذلك، ألا تَنتج الشائعة عن الخوف وعدم الأمان في هذه الحياة؟ مما لا شك فيه أن الخوف والقلق الدائم وعدم الأمان، كل هذه من أسباب سريان كثير من الشائعات وخاصة أثناء الحروب .. لذا فالإنسان في هذه الأجواء يفتح أذنيه لالتقاط أي شائعة يسمعها، وحتى إن كان قد أطلقها إنسان برئ أو جماعة من العملاء والجواسيس، وعدم الأمان يدفع الإنسان إلى نشر الشائعة والتفتيش عمن يشاركه فيها ويقف معه تجاه الخطر المرتقب.

ونتساءل أيضاً : ألا يزول القلق والخوف بوجود الأخبار المتوافرة، وبذلك تنعدم الشائعة لانعدام أحد أسسها وهو الغموض؟

قبل أن أجيب عن هذا السؤال أقول: إنه مما لاشك فيه أننا نعيش اليوم عصر وسائل الاتصال المختلفة من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب.. إلخ.

ولكن ومع ذلك ما زالت الشائعة تعمل في الرأي العام.. بل إن وسائل الاتصال هذه قد تسهم هي الأخرى في نشر الشائعات وتحريف الأخبار وتَرْديدها بصورة مشوهة تُبْعد كثيراً عن حقيقتها التقليدية[١].

---

(١) ارجع إلى الإعلام والاتصال بالجماهير د. إبراهيم إمام ص ٢٦٤.

وعلة وجود الشائعات وانتشارها حتى لو كانت هناك أخبار متوافرة، هي أن للشائعات دلالة تعبيرية أو معاني مجازية كامنة وراء الألفاظ، وهذه المعاني ليست معلومات معرفية كالأخبار مثلاً، ولا حاجة هنا إلى أن نقارن بين مضمون الشائعة مع الحقائق الموضوعية ونقيس مدى الصدق بدرجة قربها من الواقع أو بعدها عنه، وإن هذه المعاني المجازية الكامنة وراء الألفاظ تنطوي عادة على أحكام تصدر على موقف أو شخص أو حدث وهذه الدلالة التعبيرية من أهم الخصائص التقويمية للشائعة. و« ناقل الشائعة لا يعبر عن الواقع بقدر ما يعبر عن حالة نفسية أو قلق انفعالي. وهنا تختلط الوقائع بالأخيلة والدلالات الموضوعية بالمثيرات العاطفية ولعل هذا التفسير للشائعة هو الذي يعلل سبب انتشار الشائعات حتى عندما تكون الأخبار متوافرة تماماً»[١].

ويؤيد هذا المعنى الدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية وقد مر ذكرها آنفاً. إذ قد تبين من الدراسة أن الأسباب الرئيسة لانتشار الشائعات هي أنها تقوم بوظيفة مزدوجة فهي تفسر التوترات الانفعالية التي يستشعرها الأفراد وتنفس عنها، ففي حادثة « بيرل هاربور[٢]» مثلاً ساعدت الشائعات على تفسير القلق الذي شعر به الناس، ومن ذا الذي لا يقلق إذا مُسِحَ أسطول بلاده مسحاً كما قيل آنئذ، ثم إن العائلات التي فقدت أبناءَها أو مُعيلها تريد أشخاصاً تصب عليهم نقمتها، ولذلك كان لومُ الأقليات متنفساً للناس، وهكذا انصبت الشائعات على خيانة بعض الأقليات القومية في الولايات

---

(١) نفس المصدر ص ٢٥٣.

(٢) بيرل هاربور – ميناء ضُرب فيه الأسطول الأمريكي من قبل اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية وكان ضربه من أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.

المتحدة (مثل الأقلية الألمانية) وأشير إلى جشع اليهود وعلاقتهم بالسوق السوداء وغير ذلك[١].

(٥) **الرأي العام والشائعة:** ونتساءل الآن: هل للشائعة هذا الأثر الكبير في الرأي العام، وهل يمكن أن تَكوِّن رأياً عاماً في مجتمع من المجتمعات؟.

لقد تأكد من بحوث العلماء أن الشائعات الكاذبة لا تنتشر إلا في المجتمعات الانفعالية التي تتلقى الأمور بالانفعال، والتي لم تبلغ من الوعي درجة كافية بحيث تحلل الشائعة وتبين صدقها من كذبها. وبخاصة إذا استولى على هذه المجتمعات حكام مستبدون، هم أنفسهم يستخدمون وسائل الإعلام في نشر الشائعات، وتحريف الأخبار وترديدها بصورة مشوهة تبعدها كثيراً عن حقيقتها.. ولكي يخدع هؤلاء شعوبهم يعطون للشائعة صورة معقولة بإرجاعها إلى مصدر مؤثوق (على حد زعمهم)، والشعوب المغلوبة على أمرها تصدقهم وتسير وراءهم مغمضة الأعين (بغريزة القطيع)[*].

ويرى البعض الآخر «أن جميع الناس في أي مجتمع وفي أي زمان متهيأون لتلقى الشائعة وتصديقها.. لأن الناس ليس لديهم الوقت الكافي الذي يسمح بمراجعة ما يسمعونه وطرحه على معايير الصدق، فضلاً عن أنه يصعب عليهم إثبات تكذيب الشائعة..»[٢].

ويظهر أن المؤلف اعتمد على هذه المقولة في ترويج الشائعات والدعايات الكاذبة ضد الحركة الإسلامية في بلده، خلال ربع قرن من الزمان (١٩٥٤ –

---

(١) مجلة العربي العدد ٩٤/١٣٨٦/١٩٦٦ – مقال : سيكولوجية الإشاعة.

(٢) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص ٣٤٩.

(*) (غريزة القطيع) تعبر عن الانقياد داخل الجماعة بدون وعي، كقطيع الغنم الذي يسير وراء كبيرهم.. وتعبر أيضاً عن تعطل ملكة المحاكمة الشخصية، وغياب حس النقد والتمييز، ويغدو الفرد كأنه منوم مغناطيسياً سهل التقليد.

١٩٧٨)، ويلبس المؤلف ثوب الأخلاق الفاضلة عندما يقول « إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلته، معادية أم مدمرة تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية ويمكن أن نشبهها بسم الخنجر المسموم الذي يطعن الأبرياء من الخلف مستغلاً أحد صفات الإنسان من جبن ونذاله، وغالباً ما يعصف هذا السلاح بكيان مجتمع أو بأصول حضارة»[(١)].

وثمة جانب آخر من تأثير الشائعة في المجتمعات البشرية، ذلك عندما تتحول الشائعة إلى أسطورة خالدة في أذهان الناس لا تموت على مر الأزمان. ويضرب لنا الدكتور إبراهيم إمام مثالاً على ذلك: « أسطورة جوليات وداود» وهي من أمثلة استخدام الشائعات في الحرب النفسية يقول: « لأن الأسطورة في حقيقتها ليست سوى شائعة خالدة استطاعت أن تحيا على مر العصور لتصبح جزءاً لا يتجزأ من تراث الأمة» والمعروف أن إسرائيل تستخدم هذه القصة (أسطورة جوليات وداود) في حربها النفسية وتلقنها للصغار منذ نعومة أظفارهم وترويها للعالَم موعزة إلى أن داود يمثل إسرائيل والعملاق (جوليات) يمثل العرب. وتبين هذه الأسطورة أيضاً أهمية العزيمة الصلبة والثقة في النفس والذكاء إلى جانب الاعتقاد الراسخ والإيمان العميق»[(٢)].

ويلاحظ أن الدكتور لم يوفق في اختيار المثال ، ونحن نسأله – بصفة أن الأسطورة في حقيقتها ليست إلا شائعة هل قصة داود وجوليات أسطورة؟ أم أنها قصة حقيقية ذُكرت في القرآن الكريم؟ بصرف النظر عن استخدام إسرائيل لها في حربها النفسية وفي مجال التربية والتاريخ[(٣)].

---

(١) الحرب النفسية – صلاح نصر ج ١ ص (٧).

(٢) الإعلام والاتصال بالجماهير – إبراهيم إمام – ص ٢٥٧ – ٢٥٨.

(٣) قال تعالى: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠-٢٥١] ...)) وإسرائيل تدعى أن داود =

وإن مما هو قريب من الأسطورة .. خلع صفات البطولة الخارقة والعظمة على الأصدقاء والقادة بشكل يفوق الحقيقة .. وتضخيم أعمالهم إلى حد القوة التي لا توصف، وبالمقابل لذلك خلع صفات الشياطين على الأعداء ووصفهم بالصفات التي تُحطُّ من شأنهم.. وفي النهاية لا يَعرف الناسُ شيئاً إلا من خلال التصور الذي يُرسم لهم.. وإن في التاريخ كثيراً من القصص الخرافية عن الحكام وقادة الحروب وغيرهم من الذين يَنسبون إليهم خوارق العادات.. وفي الحقيقة ما أخبارهم إلا شائعة تحولت إلى أسطورة في نهاية الأمر .

(٦) **مقاومة الشائعات:** تكلم كثير من علماء النفس وأساتذة الإعلام ورجاله عن الشائعات وسبل مقاومتها، ولا بأس من عرضها أولاً ومن ثم أعرض التصور الإسلامي لمقاومة الشائعة والقضاء عليها في مهدها قبل أن يستفحل شرها.

فيرى بعضهم أن مسؤولية مقاومة الشائعات والسيطرة عليها تقع على القيادة والأفراد ومكتب الأمن، ومن أهم أساليب مقاومة الشائعات ما يلي[1]:

١- تعاون الجمهور في الإبلاغ عن الشائعات وتكذيبها وعدم ترديدها.

٢- تكاتف وسائل الإعلام المختلفة من أجل عرض الحقائق في وقتها وإشاعة الثقة بين المواطنين وتنمية الوعي العام وتحصينه ضد الحساسية النفسية بصفة عامة وضد الشائعات بصفة خاصة.

= يمثلهم في القصة القرآنية.. مع العلم أن داود عليه السلام لعنهم كما لعنهم عيسى عليه السلام ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة:٧٨] ومن هذه الآية يتبين أن أصل القصة كما وردت في القرآن واقعة حقيقية – وليست أسطورة كما سماها الدكتور إبراهيم إمام لأن القرآن ليس فيه أساطير. قال تعالى في سورة يوسف ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ﴾ [يوسف:١١١] أما إذا كانت عند اليهود محرفة يغلب عليها الكذب فيمكن تسميتها أسطورة مع التنبيه إلى أن أصلها حقيقي...

(١) علم النفس الاجتماعي – زهران – ص ٣٦٠.

٣- التوعية المستمرة لتثبيت الإيمان والثقة بالبلاغات الرسمية عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات.

٤- اقتفاء خَطِ سير الشائعة والوصول إلى جذورها، وإصدار البيانات الصحيحة الصريحة بشأنها والتخطيط الشامل وتكاتف الجمهور.

٥- الثقة بالقادة والرؤساء، والثقة بأن الأمور العسكرية تُحاط دائماً بالسرية والكتمان وأن العدو يحاول خلق الشائعات عندما لا تتيسر لديه الحقائق.

٦- تولية الأمر والقيادة لأهل العلم والخبرة والخلق والدين.

ويستعرض لنا الدكتور إبراهيم إمام محاولة الأمريكيين في مقاومة الشائعات خلال الحرب العالمية الثانية قائلاً: « حاول الأمريكيون إنشاء ما أسموه « عيادات الشائعات» وفيها تقوم الصحافة بتفنيد كل شائعة والرد عليها وشعارها: (اذكر الشائعة واضربها بكل قوة) وأخطر ما تعرضت له عيادات الشائعات، إذاعة الأقاصيص الكاذبة والمساهمة في نشر الشائعات على نطاق أوسع مما كان مقدراً لها».

« ومن ناحية أخرى اتجه مكتب الإعلام الحربي الأمريكي (١-٧-٥) برئاسة « ليورستن » إلى محاربة الشائعات بالأخبار الصحيحة على أساس أن الشائعات تسري في جو من الغموض الناجم عن ندرة الأخبار».

« ولكن يبدو أن خير وسيلة لمقاومة الشائعات ومواجهة الحرب النفسية هي تحصين الشعب عن طريق دعم إيمانه بوطنه وأهدافه، وتوعية الجماهير وإيقاظ الضمائر؛ وهي مهمة لابد وأن تتظافر على أدائها هيئات التعليم والتربية والثقافة والإعلام والتنظيمات السياسية، ذلك أن التعبئة النفسية للجماهير وتمسكها بأيديولوجيتها عن إيمان واقتناع من أهم الدعائم الضرورية لمواجهة الشائعات والحرب النفسية»[1].

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير - إمام ص ٣٠٥ - ٣٠٦.

ونحن نرى أن الشائعات يُقضى عليها بمساعدة عنصرين مهمين في الدولة وهما الفرد المؤمن والحكومة الصالحة.

فبإيجاد الفرد المؤمن بالله حق الإيمان، المتخلق بأخلاق القرآن، نكون قد أوجدنا الإنسان المتميز الذي يزن الأمور بميزان الإسلام. والذي لا يتلقى أي أمر أو قول إلا بعد تدقيق وتمحيص، تبعاً لقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦ ﴾ [الحجرات ٦] ورأينا آنفاً[1] في الدرس الذي أعطاه الله للجماعة المسلمة في المدينة، في حادثة الإفك، إذ علمها أن لا تلوك بألسنتها شائعات دون إنعام نظر وتبيّن ﴿ لَّوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ ظَنَّ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمۡ خَيۡرٗا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفۡكٞ مُّبِينٞ ﴾ [النور ١٢] وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ۝١٦ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝١٧ ﴾ [النور ١٦-١٧] ولقد انطفأت شائعة الإفك بمجرد نزول الآيات في تبرئة السيدة عائشة رضي الله عنها.

- فالطريق الأول إذاً لمقاومة الشائعات هو الإيمان الصادق الذي يربّى المؤمن على منهج فكري يحميه من الشائعات، وهذا يتطلب أيضاً أن يكون المسلم لديه وعي كامل بمفاهيم الإسلام وبالأمور التي تجري من حوله في جميع مجالات الحياة. ومن هنا يأتي واجب رجال التربية والدعوة في تربية وعي المسلمين بدينهم أولاً وبما يجري حولهم - أي زيادة وعيهم السياسي الذي يفتقده مسلم اليوم، حتى لا تتناهبهم وسائل الإعلام الغربية والشرقية وهم حائرون واقفون على مفترق طرق لا يعرفون إلى أين يتجهون.

---

(١) في الفصل الثاني.

وبالإيمان أيضاً نقضي على شائعات الخوف والتي تكثر في الحروب خاصة، ومن عاش في جو الحروب يرى بعينيه الهلع والخوف الذي يصيب الناس عامة، إلا الذين آمنوا، فقد ضربوا مثلاً عظيماً في الشجاعة والتضحية، وصدق الله العظيم ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٣] .

- وأما الطريق الثاني للقضاء على الشائعات فهو إيجاد الحكومة الصالحة، التي تعمل لصالح الأفراد بإخلاص وصدق وعدالة، وبذلك تنال ثقة الإنسان في هذه الدولة لأنها تعطيه حقه فيعطيها واجبه، وبوجود هذه الحكومة الصالحة تُنشر الأخبار من وسائل الإعلام المختلفة بصدق وفي وقتها، بحيث لا يبقى مجال لانتشار الشائعات المختلفة المغرضة، صحيح أنها لا تنعدم بشكل نهائي - وذلك لوجود الأوشاب في كل مجتمع - ولكنها نادرة، ولا حكم للنادر. ولاشك أن الشعب يحتاج إلى التوعية الدائمة ودعم إيمانه بالله وتبيان أهداف أعدائه، وأساليبهم في الدعاية والشائعة حتى لا يتأثر بها.

أما في أوقات الحروب ، وعند إعلان الجهاد على أعداء الله وأعداء المسلمين، فلن تكون هناك أجواء لتقبل الشائعات، كما في المجتمعات غير الإسلامية، لأن الجهاد في الدولة الإسلامية يختلف عن الحروب التي تشنها الدول الأخرى من حيث المضمون والمظهر والأداء، فزمن الجهاد هو زمن الاستبشار والسرور، لأن المسلم يجاهد وهو ينتظر إحدى الحسنيين، إما النصر وإما الشهادة.

وفي هذه الأوقات بالذات، يكون الجيش المسلم، هو ذاته، حرباً نفسية على الأعداء، ويُخشى بأسه وشجاعته، ويُرهب جانبه.

ثالثاً: غسيل الدماغ:

(١) **مفهوم غسيل الدماغ وتعريفه:** غسيل الدماغ سلاح من أسلحة الحرب النفسية، يرمى إلى السيطرة على العقل البشري وتوجيهه بغايات مرسومة بعد أن يجرد من مبادئه السابقة..

وكان أول من ابتكر اصطلاح غسيل الدماغ صحفي أمريكي يدعى « إدوارد هنتر » ألّف كتاباً عن الموضوع على أثر الحرب الكورية، إذ لاحظ هذا الصحفي أن ثلث أسرى الولايات المتحدة الأمريكية قد اتخذوا اتجاهاً جديداً ضد وطنهم، وكانت هذه الظاهرة هي الأولى من نوعها في تاريخ الحرب البشرية، وقد عنى الصحفي بهذا الاصطلاح « المحاولات المخططة أو الأساليب السياسية المتبعة من قبل الشيوعيين لإقناع غير الشيوعيين بالإيمان والتسليم بمبادئهم وتعاليمهم»[١].

إلا أن اصطلاح « غسيل الدماغ » اتسع معناه، واستعمل في مختلف ميادين للحياة من إعلان تجاري، أو دعاية أو اجتماع أو سياسة، ولم يعد قاصراً على الشيوعيين – وهم أول من استخدمه – بل تعداه إلى الشرق والغرب، ليصبح له تعريف عام وهو: « كلُ وسيلة تقنية مخطَّطة ترمي إلى تحوير الفكر أو السلوك البشري ضد رغبة الإنسان أو إرادته أو سابق ثقافته وتعليمه»[٢].

وقد أطلق بعضهم على هذه العملية في السيطرة على العقل البشري وتوجيهه، أسماء أخرى، أعم وأشمل من اصطلاح غسيل الدماغ، من مثل: إعادة تقويم الأفكار. أو التحوير الفكري، أو المذهبة، أو الإقناع الخفي[٣].

---

(١) د. فخري الدباغ – غسيل الدماغ – ص ١١ و ١٢ بيروت ١٩٧٠.

(٢) المصدر السابق ص ١٣.

(٣) د. زهران – علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٢.

ونصل أخيراً إلى تعريف لاصطلاح غسيل المخ « بأنه عملية تطويع المخ وإعادة تشكيل التفكير، وهو عملية تغيير الاتجاهات النفسية بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير، وهو محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو ضد إرادته أو ضد ما يتفق مع أفكاره ومعتقداته وقيمه، إنه عملية إعادة تعليم (RE edu cation—) وهو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها ثم إلى الإيمان بنقيضها»[(١)].

(٢) الأساس النفسي لغسيل الدماغ: لقد استغل المشتغلون بالحرب النفسية دراسات علماء النفس لعلم وظائف الأعضاء والجهاز العصبي، والعلاقة بين علم وظائف الأعضاء وسيطرتها على المخ.. ويذكر في هذا المجال تجارب بافلوف[(*)] على الحيوانات، ويستحسن تلخيص اكتشافاته في النقاط الرئيسة الآتية حتى يمكن الربط بينها وبين عمليات غسيل الدماغ التي سنذكرها بعد ذلك، والتي طبقها الشيوعيون على الأسرى والسجناء، وهاك خلاصة نظرية بافلوف التي استخلصها من تجربيه على الكلاب:

١) عند حدوث توترات معينة أو صدمات فإن الكلاب تستجيب تماماً مثل الإنسان تبعاً لاختلاف أمزجتها المختلفة الموروثة.

٢) لا تتوقف ردود فعل الإنسان والكلب للتوترات العادية على كيانه الموروث فقط بل كذلك على المؤثرات البيئية التي يتعرض لها، وهذه المؤثرات تغير تفاصيل سلوكه فقط، ولكن لا تغير النمط السلوكي الأساسي.

٣) تنهار الكلاب كالآدميين وذلك حينما تصبح التوترات أو الصدمات أكثر مما ينبغي أو بدرجة لا تستطيع أجهزتها العصبية السيطرة عليها.

---

(١) المصدر السابق نفسها.

(*) بافلوف: هو عالم فسيولوجي روسي – كان غرضه دراسة وظيفة المراكز العصبية في الدماغ.

٤) يختلف مقدار التوتر الذي يستطيع الإنسان أو الحيوان السيطرة عليه دون أن يصاب بالانهيار باختلاف حالته البدنية، كما يمكن تقليل المقاومة وبوسائل أخرى مثل: الإجهاد – الحمى – المخدرات والتغيير في وظائف الغدد.

٥) عندما يستثار الجهاز العصبي استثارة شاملة، ويحدث له موقف كامل فإننا نستطيع أن نميز ثلاث مراحل مختلفة من التغييرات في السلوك، وهذه المراحل هي:

أ- المرحلة « المتعادلة » حيث يعطي فيها المخ الاستجابات نفسها لكل من المثيرات القوية والضعيفة.

ب- مرحلة التناقض وهي التي يستجيب فيها المخ للمثير الضعيف بشكل أكثر إيجابية من المثير القوي.

جـ- مرحلة التناقض الشديد وهي التي تتحول فيها ردود الفعل الشرطية والأنماط السلوكية من الموجب إلى السالب أو بالعكس.

وقد توصل « بافلوف » إلى هذه الاكتشافات عن طريق مراقبة ما يحدث للأنماط السلوكية الشرطية في الكلاب حينما يستثار مخ كلب بواسطة توترات أو صدمات تفوق قدرته على الاستجابة العادية.

يقول « وليم سار جنت » وهو أحد أطباء النفس، في اكتشافات بافلوف في هذا المجال « إن تطبيق اكتشافات بافلوف في الكلاب على آلية أنواع عديدة من التحول الديني أو السياسي في الكائنات البشرية توحي بأنه لكي يكون التحويل مؤثراً يجب أن تستثار انفعالات الشخص حتى يصل إلى درجة شاذة من درجات الغضب أو الخوف أو النشوة، فإذا أمكن الاحتفاظ بهذه الحالة أو أمكن زيادة حدتها بوسيلة أو بأخرى فقد ينتهي الأمر بالشخص إلى حالة من حالات الهستريا، وحينئذ يصبح الإنسان أكثر استعداداً لتلقي الإيحاءات التي قد لا يتقبلها في الظروف العادية وقد يحدث بديلاً عن ذلك مرحلة من المراحل: « المتعادلة » أو « المتناقضة » أو « شديدة

التناقض » أو قد يحدث « انهيار امتناعي كامل » يقضي على كل المعتقدات السابقة.

هذه الأحداث يمكن أن تكون عاملاً مساعداً في غرس معتقدات وأنماط سلوك جديدة، وسوف نلاحظ هذه الظاهرة نفسها في كثير من العلاجات الحديثة في مرض الطب النفسي. على أنه يمكن إحداث جميع مراحل النشاط الذهني من زيادة الإثارة إلى حد الإنهاك الانفعالي والانهيار إلى الاستسلام الهادئ الصامت: إما بوسائل سيكولوجية (نفسية) أو باستخدام العقاقير أو بالعلاج بالصدمات الكهربائية أو بتخفيض كمية السكر في دم المريض بحقنه بالأنسولين، كما تأتي بعض النتائج الأفضل في علاج حالات من أمراض الطب النفسي مثل: العصاب[1] أو الذهان[2] بأحداث حالات من حالات « الامتناع الوقائي»[3] . وهذا يحدث دائماً بالاستمرار

---

(١) العصاب : مجموعة من الأمراض النفسية وتحوي : القلق النفسي، والهستريا، والوسواس القهري، والإجهاد، والاكتئاب النفسي.
وكان المظنون قديماً أن العصاب مرض يصيب الأعصاب، إلا أن علماء النفس اكتشفوا أنه اضطرب انفعالي بسبب صراع داخلي وتصدع في الشخصية، فهو اضطراب في الشخصية وليس اضطراباً في الأعصاب. (انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي الدكتور عبد المنعم الحفني - ج ٢ ص ٢٤ - مكتبة مدبولي - القاهرة ١٩٧٨م).

(٢) الذهان: من الأمراض العقلية، يجعل المصاب به معتوهاً أو مختلط العقل والمريض بالذهان لا يعرف أنه مريض، وعادة ما يكون المريض بعيداً عن الواقع مضطرب الشخصية تحت تأثير اعتقادات خاطئة مع تغير في المزاج والوجدان.
وهناك أنواع كثيرة من الذهان: (المرجع السابق ص ١٨٣ ج ٢).

(٣) الامتناع الوقائي : هي الحالة التي إذا تعرض فيها الحيوان لاستثارة شديدة فإنه يصل إلى حالة التوقف الكامل للجهاز العصبي فيصبح المخ حينئذ عاجزاً مؤقتاً عن تأدية وظائفه السائدة وهذه الحالة التي لاحظها بافلوف على كلابه ظهرت في جرحى الحرب، وكانت تتملكهم حالة من الاستسلام الهادئ أو يصابون بفقدان الذاكرة أو بعجز يقعدهم عن استعمال أطرافهم أو بنوبات من الغيبوبة.

في فرض التوترات الصناعية على المخ حتى يصل إلى مرحلة نهائية من مراحل الانهيار الانفعالي المؤقت والاستسلام المؤقت، ويبدو أنه من المحتمل أن تتبدد بعدها بعض الأنماط الشاذة الجديدة كما يحتمل عودة الأصح والأسلم منها أو غرسها في المخ من جديد»[(١)].

إلا أن ادعاءات بافلوف بأن في الإمكان غسل الدماغ وجعله نظيفاً خالياً من كل الانطباعات والعلاقات القديمة فيها كثير من المغالاة « فالعقل البشري هو غير العقل الحيواني، كما أن الشدائد التي سلطها على الكلاب لم تؤد بأجمعها إلى عين النتائج المتوقعة، ولعل الأكثر صحة اعتبار العلاقات والأفكار القديمة مطموسة أو ثابتة وأنها يمكن أن تعود إلى قوتها وفعاليتها في ظروف مناسبة أخرى»[(٢)].

وأيضاً ما زال كثير من علماء النفس الغربيين ينظرون إلى أبحاث بافلوف نظرة مقت، ويرون أن المعتقدات الثقافية تمنح الإنسان بالإضافة إلى مخه وجهازه العصبي روحاً عقلية مستقلة تساعد على التحكم في سلوكه الأخلاقي وتصبغ عليه قيمته الروحية[(٣)].

والخطأ الكبير الذي يقع فيه بافلوف وغيره من علماء النفس الماديين خاصة هو قياس الإنسان على الحيوان، مع العلم أن الإنسان متميز عن الحيوان بقواه العقلية التي وهبها الله إياه، والله عز وجل خاطب الإنسان بهذه القوى وطلب منه استخدامها بالوصول إلى الإيمان ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم ٢٤] ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم ٢١] .

ويوم لا يستخدم الإنسان هذه القوى العقلية يهبط إلى مستوى الحيوان، قال تعالى واصفاً الكافرين ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ

(١) ارجع إلى « الحرب النفسية » صلاح نصر ج ٢ ص ٥٩/ ٦٠.

(٢) فخري الدباغ – غسيل الدماغ – ص ١٣٢.

(٣) صلاح نصر – الحرب النفسية ج ٢ ص ٥٨.

هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الفرقان ٤٤] ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (الأنفال ٢٢).

هذا بالإضافة إلى القوى الروحية التي هي أساس السلوك الأخلاقي عند الإنسان وتتحكم بهذا السلوك، لذا ليس من السهل غسل عقل الإنسان، لأنه ليس دماغاً أو جهازاً عصبياً فقط، والتأثير ممكن عن طريق الاستهواء على أناس يفقدون من القوى الروحية الإيمانية التي تثبّت الإنسان، في أوقات الشدائد، والدليل على ذلك أن التأثير الشيوعي بعد الحرب الكورية، كان فاعلاً في جنود الولايات المتحدة الأمريكية وجنود بريطانياً ، فقد انهارت نسبة كبيرة منهم، بينما لم يتراجع أي جندي تركي مسلم آنذاك[1].

وإن مؤلف كتاب « غسيل الدماغ » أرجع ثبات الأتراك المسلمين إلى التفافهم حول بعضهم مع وجود قيادة متسلسلة من بين الأسرى استطاعت إدارة وتوجيه المجموع نحو تحمل البعد والوحدة والعذاب النفسي[2].

ولا ندري ممن جاء بهذا التفسير لثبات الجنود الأتراك ولماذا لا يكون الإسلام، هو سبب الثبات، وإذا كانت القيادة هي السبب ، ألم تكن للجنود الأمريكان والإنكليز قيادة؟

(٣) طريقة غسيل الدماغ:

تتم عملية غسيل المخ على طريقتين :

أ) الطريقة العنيفة.

---

(١) فخري الدباغ – غسيل الدماغ ص ٣٢٢.
لقد اشترك الجنود الأتراك في الحرب الكورية مع الجيش الأمريكي.. وعن طريق الجنود الأتراك دخل الإسلام إلى كوريا في الخمسينات..

(٢) المصدر السابق ص ٣٢٩.

ب) الطريقة التربوية الهادئة، وهذه يمكن أن نسميها التحوير الفكري أو الإقناع الخفي.

أ- **الطريقة العنيفة**، وهي التي ركز عليها العلماء وشرحوها وبينوها لأنها ألصق بالاصطلاح، وهي الأساس الذي اعتُمد أولاً في عمليات غسيل المخ في البلاد الشيوعية، والتي هي من ابتكارهم، والمعبرة عن وحشيتهم تجاه الإنسان المكرَّم عند الله، وعندما يطَّلع المرء على أسلوبهم هذا وأسلوب تلامذتهم في البلاد الإسلامية بعد أن حكموا البلاد والعباد بالحديد والنار، سيعرف مقدار عظمة الإسلام في رفعه لشأن الفرد وعدم إكراهه على أمر﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ ﴾ [البقرة ٢٥٦] ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء ٧٠] وتشمل طريقة غسيل المخ بهذا الأسلوب نقطتين:

- الاعتراف بالكشف عن الأخطاء.
- إعادة التعليم والتثقيف، أي إعادة تشكيل الفرد في الشكل المطلوب[١].

وإيصال الفرد إلى الاعتراف بالأخطاء، والوقوف موقف العداء من أفكاره السابقة كلها، لابد من تعريض الفرد لتوترات شديدة .. وتشمل المراحل الآتية:

١- عزل الفرد اجتماعياً عزلاً كاملاً وحرمانه من أي مثيرات خاصة بالموضوعات المطلوب غسيلها (في مستشفى أو معتقل أو سجن)[٢] وبعد فترة من القلق المستمر، وبتطبيق بعض الأساليب الأخرى التي سنذكرها بعد ذلك يبدأ الاستجواب، ومن المحتمل أن يتحطم الإنسان تلقائياً وبدرجة ملموسة نتيجة القلق والتفكير الطويل فيما يعترف به ويصبح في يأس وتعاسة « وهناك وسيلة معروفة استخدمت في السجون السياسية وهي أن يوحي إلى السجين بأن بلاده لم تعد ترفع

---

(١) محمد عبد القادر حاتم – الرأي العام وتأثره بالدعاية والإعلام (ج ٢ ص ١١٠).

(٢) د. حامد عبد السلام زهران – علم النفس الاجتماعي – ص ٣٦٢.

صوتاً واحداً من أجله وأن محبيه وأصدقاءه تخلّوا عنه مما يجعله يشعر بأنه أصبح وحيداً تماماً فينقاد إلى المحاكمة المحزنة مسلوب الإرادة تحت أشد الظروف وطأة وعنفاً»[١].

٢- الضغط الجسماني: ويشمل تعريض الفرد لمؤثرات الجو، والجوع والتعب والألم، والأساليب الأخرى مثل الصدمات الكهربائية واستخدام العقاقير المخدرة والتعذيب الشديد، وهذه تضعف قدرة الفرد على التحكم في إرادته[٢]. وهذه الأمور كلها الهدف منها الوصول بالفرد إلى درجة الإعياء والانهيار حتى يكون عقله قابلاً لتقبل أي توجيه من المستجوب .. ويشمل الضغط الجسماني إضعاف الفرد عن طريق تقليل ساعات نومه أو الحرمان منه، ونقص الغذاء أو الحرمان منه وحرمانه من الملابس الكافية المناسبة. واستخدام كل ما من شأنه أن يجعل الفرد في حالة اكتئاب شديد غير قادر على القيام بأي نشاط، والعمل على اضطراب التوجيه لديه بالنسبة لنفسه وذاتيته، وبالنسبة للزمان والمكان، وإشعاره أنه تحت ضبط تام، وتعريضه للمرض الجسمي والمرض العقلي وحتى الإشراف على الموت.[٣] وجعل الفرد في حالة « يكلم فيها نفسه » أو تظهر لديه أعراض مثل

---

(١) صلاح نصر – الحرب النفسية ج ٢ ص ٣٣.

(٢) حامد زهران – علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٢.

(٣) يقول المستشار على جريشة في كتابه – في الزنزانة – يصف ألوان التعذيب التي رآها بنفسه، ومر بها في تجربة شخصه : « هنا جحيم من صنع البشر، ألوان لا تخطر على بال، جثث معلقة من أرجلها، مسلوخة من جلدها، تماماً كالذبائح، تتصاعد منها مرخات ثم تخفف إلى آنات، ثم تخفف الأنات إلى أنفاس تتردد، حتى تلفظ الأنفاس، طبعاً السلخ يتم بطريقة مؤلمة.. هي الضرب السياط .. ثلاثة أو أربعة على واحد حتى ينسلخ جلده ويتركوه بين الحياة والموت، كلاب متوحشة تعوى وتهاجم وتقتطع أجزاء حية من الأجساد.. أسلاك الكهرباء تسري في الأجساد وتصيبها برعدة شديدة وتتركها كذلك بين الموت والحياة.. نزع الشعور واقتلاع الأظافر.. الحرمان من الطعام ومن الشراب في عز الحر.. زنزانة لها عتبة عالية تملأ بماء بارد، ويقذف فيها المعذب يومين أو ثلاثة، بلا نوم، بلا راحة، بلا جلوس... المبيت مع الكلاب.. » ص ١٥ ط ١٩٧٧.

الهلوسات والأوهام. وحسب شخصية الفرد ونمط انفعالاته ومعتقداته ونقاط قوته وضعفه، فقد يظهر البعض مضطربين وقد يتغير البعض بشكل ظاهر، وقد يقاوم البعض[١].

٣- التهديدات وأعمال العنف: « يتخذ هذا الأسلوب شكلين متناقضين، فإما أن يكون مباشراً كاستخدام العنف والضرب والركل حتى الموت، وربط السجين إلى أسفل بحيث لا يستطيع حراكاً ثم يوضع حجر ثقيل فوقه ويترك هكذا لمدة طويلة .. إلى غير ذلك من الوسائل غير الإنسانية[٢].

وإما أن يكون التهديد والعنف بشكل غير مباشر، فمثلاً قد يعامل الفرد معاملة ودية طيبة، ويتكرم المستجوِب فيعطيه لفافة تبغ، وفي أثناء الحديث يسمع هذا الفرد زميله في الغرفة المجاورة يصرخ من الألم لرفضه الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه نفسها، أو أن يوضع عدد من السجناء في زنزانة واحدة وعندما يعود أحد الزملاء مخضباً بدمائه كقطعة من اللحم أو تعاد ملابسه في لفافه صغيرة .. يكون هذا كافياً للآخرين كصورة من التهديد غير المباشر[٣].

٤- الإذلال والضغوط: تعتمد هذه الوسيلة على اتباع كل نظم السجن التي تتطلب الخضوع التام مع الإذلال في أسلوب: تناول الطعام والنوم والاغتسال وما إلى هذا طبقاً لنظم محددة، مع العلم عدم القيام إلا بإذن من الحارس، وإحناء الرأس وإبقاء الأعين موجهة إلى الأرض أثناء التحدث إلى الحارس، بالإضافة إلى السب والشتم بأقذع الألفاظ[٤].

---

(١) حامد زهران – علم النفس الاجتماعي ص ٣٦٣.

(٢) صلاح نصر – الحرب النفسية ج ٢ ص ٣٦.

(٣) صلاح نصر – الحرب النفسية ص ٣٦ ج ٢.

(٤) هذا الأسلوب يتبع في كل السجون السياسية، إذ أول ما يبدأ بالسجين هو إهانته وإذلاله.

٥- الدروس الجماعية: واستخدمت الدروس الجماعية اليومية في الصين حيث كانت تدرس العقيدة الجديدة بواسطة قراءات ومحاضرات تتبعها أسئلة ليثبت كل فرد هضمه للدراسات التي يتلقاها، على أن يتبع هذا بمناقشات يطلب فيها من فرد أن يوضح كيف يستنبط الأهداف من مقدمات الدراسات الشيوعية، وكيف يمكنه تطبيقها هو بالنسبة لنفسه. ويعتبر النقد المتبادل ونقد النفس جزءاً مهماً من المناقشات التي تجري بين أفراد الجماعة.

وفي هذه الجلسات يمارس موظفو السجن والزملاء في زنزانات السجن ضغطاً مستمراً على السجين لجعله يعيد تقويم ماضيه من وجهة النظر الشيوعية ليتحقق من إثمه ويعترف بجريمته[١]، ولإقناعه بأنه متهم بتهمه خطيرة لكنها غامضة ولابد أن يعترف بها ويقرر أنه مخطئ ومذنب، وتنمية الإحساس بالذنب لديه، وأن ما يلاقيه من معاملة إنما هو نتيجة لأنه مذنب وليس ظلماً واقعاً عليه. ولتشكيكه في أصدقائه وفي الجماعات والمؤسسات التي ينتمي إليها ومعاييره السلوكية السابقة حتى يتبرأ منها، وللقضاء على أي ولاء لماضيه، مع دفعه إلى الاعتراف حتى يتم شفاؤه.

٦- المعاملة اللينة[٢]: ثم تبدأ مرحلة اللين والهوادة والتساهل والرفق والاعتذار عن المعاملة السابقة وإظهار الصداقة، وإتاحة الفرصة أمام الفرد ليلمس ذلك (فسجين الزنزانة يخرج إلى الشمس والهواء تحت حراسة مخففة أو دون حراسة، والمتضور جوعاً يأكل ويشرب الشاي والقهوة، وتتحول التحقيقات والاستجوابات إلى مناقشات، ويتغير إهمال شأنه إلى عناية).

---

(١) صلاح نصر – الحرب النفسية – ج ٢ ص ٣٨.

(٢) حامد زهران – علم النفس الاجتماعي – ص ٣٦٣.

ومن خلال هذا كله يحمل الفرد على مزيد من الاعتراف وهذا يعتبر إجباراً على الاعتراف، لأن الفرد قد أصبح يعرف أنه إذا اعترف فإن المعاملة ستزداد تحسناً ويمكنه أن يعيش . وتزداد محاولات « جعل الفرد يتكلم » يقول: « كل شيء وأي شيء » وتزداد الضغوط لكي يعترف .

٧- الإقناع والتعليم: ثم يُبدأ إقناعه عن طريق المقابلات الشخصية بوجهة النظر والأفكار المراد غرسها. وهذه عملية إعادة تعليم تستخدم فيها كل الأساليب الممكنة حيث يتعلم الفرد أن ينتقد نفسه ويلعن كل ما كان منه. يلي ذلك مرحلة اعتراف نهائي. ويحدث تغيير مفهوم الذات لدى الفرد ويستخدم أساليب مثل: التنويم الإيحائي(١) أو الإيحاء النفسي(٢) حيث يكون الفرد مائلاً تماماً للإيحاء.

---

(١) التنويم الإيحائي أو الاستهواء المغناطيسي وهو نوم اصطناعي يحدث بواسطة الإيحاء والسأم الناتج من تكرار منبه معين لا بواسطة مادة مخدرة، ومع أن النوم المغنطيسي هو نوم جُزئي يشبه أحياناً النوم الطبيعي في بعض مظاهره رتب أصول علم التنويم الطبيب النمساوي « مسمر » وذلك في أواخر القرن الثامن عشر ثم جاء بعده (ليبولت) و(شركو) و(برفهايم) هؤلاء حولوا مغنطيسية (مسمر) إلى علم جديد أسموه بالتنويم، وابتدأوا يطبقونه في شفاء الأمراض العصبية والنفسية والفكرية، ولا يزال هذا العلم في رُقي دائم حتى اليوم.

(ارجع إلى معجم مصطلحات علم النفس – منير وهيبه الخازن – بيروت ١٩٥٦ ص ٥٩) (مادة : التنويم أو الاستهواء المغناطيسي).

(٢) الإيحاء النفسي: هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحصاً دقيقاً، والفكرة الموحي بها إليه تكون في الغالب كافية كأساس للعمل فإن المرء يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع.

وهو أيضاً محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والنهي، وكل إنسان قابل للإيحاء، وتزداد القابلية للإيحاء في حالات ضعف الذكاء والنقص العقلي عادة وضعف القدرة على التمييز والنقد والتكامل كما تزداد في حالات النوم الصناعي. (المرجع السابق ص ١٤١ – مادة الإيحاء ، الاستهواء ، التلقين).

ثم يتم محو الأفكار المراد محوها تماماً. وتقدم بعد ذلك الأفكار الجديدة ويحمل الفرد على تعلم معايير سلوكية جديدة وأدوار اجتماعية جديدة ومن ثم يتم تحويل الفرد إلى فرد جديد[١].

ب - **الطريقة التربوية الهادئة**: هذه الطريقة من غسيل الدماغ تتم بأسلوب هادئ، لطيف، وتلبس ثوباً جميلاً براقاً، يستهوي الألباب، ولكن غايتها نفس الغايات من الأسلوب الأول: إخلاء العقل الإنساني من كل الأفكار والمعتقدات السابقة وتهيئته لتعلم عقائد وأفكار جديدة.. ولهذه الطريقة صور مختلفة نعرض منها ما يلي:

١- الأسلوب التبشيري (أو التنصيري): أورد مثالاً يبين الأسلوب التبشيري في غسيل الدماغ.. وهنا العملية لا تحتاج إلى جهد كبير، لأنها تتعامل مع أطفال، قلوبهم صفحة بيضاء أو كما يقول الغزالي رحمه الله « جوهرة خالصة قابلة لكل نقش» فهم مهيأون لتلقي أي أفكار، أو عقائد .. من قبل المبشرين، والتوتر النفسي الذي يوضع فيه الإنسان لغسل دماغه.. يستبدل بتوتر اجتماعي نفسي يوضع فيه أهالي الأطفال، مما يجعلهم لقمة سائغة للاستجابة إلى ما يطلب منهم بكل راحة وهدوء..

يقول الدكتور محمد الهواري[٢] : في أوائل عام ١٩٦١م كنت أودع أحد الأخوة في محطة القطار بمدينة بروكسل في بلجيكا، وبينما نحن في انتظار موعد القطار إذا بنا نشاهد على الرصيف المقابل قطاراً احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف جمع وفير من الأشخاص يُوَدعونهم وبينهم عدد لا بأس به من الرهبان

---

(١) على النفس الاجتماعي - زهران - ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٢) في محاضرة ألقاها في: اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٩٦/ ١٦ أكتوبر ١٩٧٦ طبعت المحاضرات في مجلد بعنوان : الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

والراهبات . لقد لفت نظرنا هذا المشهد العجيب وأردنا استطلاع الأمر، فذهبنا إلى الرصيف، وتبين لنا هناك أن الأطفال هم أبناء عائلات إسلامية تعمل في شمال فرنسا في عدد من المعامل والمناجم ضمن شروط معيشة سيئة ووضيعة، ويعاني أبناؤها نقصاً كبيراً في التغذية والرعاية الصحية، وتنبهت لهذا الأمر جمعيات تنصيرية تعمل في فرنسا وبلجيكا، فأرسلت أفراداً منها للاتصال بهذه العائلات وإقناعها بضرورة إرسال أولادها إلى بيوتات نصرانية تستقبلهم وتعتني بتغذيتهم وتقدم لهم الرعاية والعناية، وكل وسائل التسلية والترفيه خلال فترة الصيف إلى ما هنالك من الأمور التي تترك أكبر الأثر في نفوسهم. وكان الأمر كذلك.

لقد شاهدت بعيني هؤلاء الأطفال في أحسن حلة في اللباس وأجمل منظر من الطلعة وفي أيدهم الهدايا والحلوى ولذائذ الطعام، واغرورقت الدموع في عيون كثير منهم أسفاً على الفراق، فقد كانت الإقامة مؤثرة في حياتهم وفعلت فيهم فعلتها ووصلت إلى غايتها المنشودة، حتى إن هذا المنظر (الإنساني الأليم) أثر في نفوس بعض المودعين فلوحوا بأيديهم وأعينهم تفيض من الدمع.

لم تكن هذه الحادثة الوحيدة من نوعها، فقد صادفنا مثيلات لها يوم أن هاجر عدد كبير من العائلات الألبانية المسلمة، هرباً بدينهم من الشيوعية إلى ديار الغرب، فتلقفتهم في بلجيكا الجمعيات التبشيرية لتأمين سكنهم ومعاشهم وتدبير شؤونهم والعناية بأطفالهم.

وكذلك يوم حلت الهزة الأرضية بمدينة أغادير في المغرب، جيء بعدد من الأطفال اليتامى المسلمين إلى أوروبا وأقاموا أياماً طوالاً بين العائلات النصرانية باسم الإنسانية، وتحت الإشراف المباشر للجمعيات التبشيرية النصرانية. واتبعت المدارس التبشيرية من روضة الأطفال وحتى الجامعة هذا الأسلوب من غسيل الدماغ لسلخ الإنسان المسلم من عقيدته أولاً ثم توجيهه نحو الغرب، وحب الغرب وتاريخ الغرب، وعلم الغرب... حتى ولدت عنده عقدة « الخواجا » المعروفة في بلادنا الإسلامية.

٢- الأسلوب الإعلامي: يقوم الإعلام المعادي في الغرب والشرق، وإعلام تلاميذه بهذه المهمة أيضاً من عملية غسيل الدماغ للفرد المسلم ولتحقيق هدفه يسير الإعلام المعادي في خطين متوازيين:

- التعتيم تعتيماً رهيباً على ما يضر مصالحه وينفع غيره.

- إلقاء الأضواء على ما يخدم مصالحه فقط.. مع التلميع الشديد لأهوائه ومآربه البعيدة.

وبهذا الأسلوب .. تم التعتيم على كل خير وصلاح في الدعوة الإسلامية ودورها في المجتمع، ومعارضتها الشديدة للشر أينما كان.

وبالمقابل تقوم وسائل الإعلام كلها من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب وسينما و(فيديو) .. تقوم بإلقاء الأضواء يومياً ، وبشكل دائم ، على تغريب المجتمع المسلم وسلخه من عقيدته بالميوعة والتحلل، والالتصاق بالدنيا وحب المادة والتكالب على المال، وعبادة الدرهم والدنيا والمرأة، ويكفي المرء نظرة واحدة على وسائل إعلام الكثير من الدول الإسلامية، والتي هي ظل لوسائل الإعلام الأخرى الشرقية والغربية ليرى بنفسه برهان ذلك.

٣- الأسلوب التربوي التعليمي: وتقوم بهذا الدور الجامعات الغربية والشيوعية في بلادها، فهي تغسل دماغ طلابها - إلا من رحم الله - من كل عقيدة سابقة ومن كل سلوك أخلاقي، وكل فكر صادق، لتجعله إنساناً آخر، بعيداً كل البعد من أخلاقه ومبادئه ودينه.

« إن صفوة الأذكياء وخيرة الشباب من أبناء المسلمين يدرسون الثقافة العصرية في أوروبا وأمريكا - خاصة - ويخوضون خلال ذلك في لجة الحضارة الغربية ويعيشون الانطلاق الأخلاقي والتحلل السلوكي والنظرة المادية المسرفة والاتجاهات الإلحادية والسياسية من قومية واشتراكية وليبرالية فيرجع معظمهم دعاة متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية ونشر قيمها ومفاهيمها وتصوراتها.

بل رجع كثير منهم متشبعين بروح الغرب، يتنفسون برئة الغرب ويفكرون بعقل الغرب ويرددون في بلادهم صدى أساتذتهم المستشرقين وينشرون أفكارهم ونظرياتهم بإيمان عميق وحماسة زائدة ولياقة وبلاغة وبيان، ومن هنا يكون خطر هؤلاء أعظم من خطر أساتذتهم».

« والخطورة البالغة تكمن في أن يتسلم هؤلاء المبتعثون بعد عودتهم مسؤوليات التوجيه والتربية والإعلام.. إنهم عندئذ يسلخون أمتهم عن دينها، ويقومون بعملية مسخ لواقعها وقيمها ومثلها »[1].

والأمثلة على ذلك كثيرة .. فهذا طه حسين عندما رجع إلى مصر بعد أن غسل دماغه من كل قيمة إسلامية تلقاها قبل ذهابه إلى فرنسا لإتمام دراسته العالية . نادى في كتابه « مستقبل الثقافة في مصر » بالأمور الآتية:

١- الدعوة إلى اتباع مصر للحضارة الغربية خيرها وشرها وقطع ما يربطها بقديمها وإسلامها.

٢- إقامة شؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين.

٣- إخضاع اللغة العربية لسنة التطور .

هذا نموذج فقط لعملية غسيل المخ في الجامعات الغربية.. ولا حاجة للإطالة في هذا الموضوع فقد قُتل بحثاً من قبل رجال الفكر الإسلامي[2].

---

(١) الدكتور محمد بن لطفي الصباغ – الابتعاث ومخاطره – مجلة – أضواء الشريعة – وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة في الرياض – العدد الثامن – جمادى الآخرة ١٣٩٧ هـ ص ٥٢٨.

(٢) ارجع إلى :
أ- المرجع السابق.
ب- أعلام من الشرق والغرب – لمحمد عبد الغني حسن – ص ٨.
جـ- الإسلام والحضارة الغربية – محمد محمد حسين.
د- أباطيل وأسمار – محمود محمد شاكر.
هـ – الاتجاهات الوطنية – محمد محمد حسين ج ٢ / ٢١٤.

ومما لا شك فيه أن عملية غسيل الدماغ هذه لم تؤثر في كثير من الشباب المسلم المتمسك بعقيدته ودينه، بل استطاع هذا الشباب أن يؤسس المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا.. واستطاعوا أن يقوموا بدور التيئيس للغرب، وذلك بإقناعه بأن قلعة الإسلام صامدة، وأنه غزاه بعقر داره، بالإضافة إلى دوره في حفظ شباب الإسلام في الغرب من الأفكار الهدامة والتحلل الخلقي وغير ذلك من المغريات.

(٤) **مقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه:** كتب كثير من الباحثين عن الوسائل المختلفة لمقاومة غسيل الدماغ بنوعيه العنيف واللّين ، وإن كنا نرى أنها وسائل فرعية أثبتت عدم جدواها في عالم الواقع وباعتراف الباحثين أنفسهم .. أما الأصل فلم يتطرق إليه الباحثون إلا القليل، ولم يعطوه اهتمامهم مع العلم أنه وسيلة مهمة لمقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه في أي طرف من الظروف..

هذا الأصل في مقاومة غسيل الدماغ هو : العقيدة الصلبة والثبات على الحق.. وقد أثبتت الوقائع ذلك قديماً وحديثاً .. فالمؤمنون الصادقون هم الثابتون عند الفتنة ولو تعرضوا للقتل والتعذيب والتحريق من قبل الكافرين .. ونرى معاً بعض النماذج للعقيدة الصلبة وهي تمشي على الأرض:

أ- أصحاب الأخدود ، ذكرهم القرآن الكريم ، مثالاً للصلابة والثبات على الحق ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَـٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ ﴾ [البروج ١-٦]

ويقص الرسول ﷺ قصة أصحاب الأخدود .. ضارباً المثل لأصحابه في صبر المؤمنين، نقتطع هذا المقطع من آخر القصة التي رواها مسلم في صحيحه: « فأمر بالأخدود (أي الملك الكافر) بأفواه السكك فحدّث وأضرم فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبيّ لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام (يا أمه اصبري فإنك على الحق)»[١].

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٨ ص ١٢٠ ورواه البخاري (فتح الباري ج ٦ ص ١٢٨).

ب- ونموذج آخر يذكره الرسول ﷺ للمؤمنين الثابتين على الحق: «عن أبي عبد الله خبّاب بن الأرت رضي الله عنه قال: شَكَوْنا إلى رسول الله ﷺ وهو مُتوسِّد بُردةً له في ظل الكعبة فقلنا: ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يُؤخذ الرجلُ فَيُحفر لَهُ في الأرض فَيُجعل فيها، ثم يُؤتى بالمنشار فيوضع على رأسه فَيُجعل نِصفين، ويُمشِط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه ما يَصُدُّه ذلك عن دينه، والله ليُتمَنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1].

ولقد ضرب الرسول ﷺ وأصحابه مثالاً عظيماً للصبر على الأذى في سبيل الله، رغم ما لاقوه من أساليب الإغراء والتخويف والعذاب حتى الموت، ويصور لنا القرآن الكريم صلابة المؤمنين وثباتهم على الحق في قوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ ﴾ [آل عمران ١٧٣-١٧٤] وقال تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب ٢٣] .

وهناك نقاط أخرى لازمة لمقاومة غسيل الدماغ بالإضافة إلى ما تقدم، وهي:

١- التماسك الذهني الأصيل ، والانعزال العقلي عن كل المؤثرات الجسمية الواقعة عليه.. وهنا يظهر الإيمان كدرع واق من التحوير الفكري.

٢- عدم الانخداع بالدعاية الخادعة.. لأن المؤمن لابد له من أن يتثبت من أي خبر يسمعه ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات ٦] .

---

(١) رواه البخاري (فتح الباري ٧/ ١٦٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الأنبياء، وفي الإكراه - وأبو داود رقم ٢٦٤٩ في الجهاد والنسائي ٨/ ٢٠٤ في الزينة.

٣- عدم التعاون مع القوى التي تريد غسل دماغه، وتقهره وتقتاده إلى مآربها، لأن المؤمن يحتفظ بكيانه وتفكيره الأصيل ، لذلك فإن عدم الاهتمام واللامبالاة وعدم الإصغاء الجِدِّي للعدو خير سلاح ضد غسيل الدماغ.

٤- شَغْل النفس بأمور أخرى حتى لا يقع تحت تأثير الإيحاء .. مثل قراءة القرآن وقراءة الأدعية المأثورة ، وتخيل صور مختلفة للمجاهدين والشهداء في سبيل الله، وكذلك بذكر الله « ألا بذكر الله تطمئن القلوب ».

٥- اختلاق الجو المريح : الجو المريح درع واق أمام الهجوم الفكري الرامي إلى تفكيك الوحدة الفكرية والانسجام الداخلي للفرد. وعنصر الإيمان يعزل المرء عن المؤثرات والمثبطات والتهديدات الخارجية.

٦- الاستعلاء على القوى المعادية: قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران ١٣٩] فالمؤمن يشعر أنه هو الأعلى دائماً في قيمه وتصوراته وعقيدته.. وأن هؤلاء الأعداء ما هم إلا عبدة الأوثان والهوى والشيطان .. فكيف يخضع لهم؟ وكيف يستجيب لما يريدون؟

هذا الشعور يرفع من الروح المعنوية للمرء ويجعله يتفادى الاستسلام ومحاولات غسل الدماغ.

٧- القيادة الجيدة التي تقود الجماعات، وتسوسهم ، وترعاهم بشكل دائم، هي التي تبعث الاطمئنان للأفراد في أوقات الأزمات والمحن، والمعارك، وهي التي تعزز مقاومة التحوير الفكري للأفراد وتطرد عنهم أي تخاذل أو نكوص.

٨- اكتساب الراحة الجسمية: من وسائل تحوير الأفكار وغسل الدماغ التجويع والإرهاق واضطراب النوم وتقليل التدفئة واستبعاد كل راحة.. والفرد المعرض لغسيل دماغه وتحوير فكره يستطيع أن يهتبل الراحة الجسمية إذا عرف كيف؟ ومتى؟ ولو فترات قصيرة وعليه الابتعاد عن الهموم والقنوط لأنها لوحدها تفقد

الإنسان من وزنه وتضعفه وكذلك الابتعاد عن الانفعال لأنه يرهق الجسم بالإضافة إلى النفس[١].

هذه بعض الوسائل للوقاية ولمقاومة غسل الدماغ .. الذي هو منهج من مناهج الجاهلية المعاصرة، وسلاح من أسلحتها في الحرب النفسية، والتي تشنها على من يخالفها في فكرها وعقيدتها.. ونعود للسؤال من جديد.. هل نجحت هذه المناهج في حمل الآخرين على اعتناق مذاهبهم الباطلة.. المخالفة للفطرة والمعادية للإنسانية؟

نقول: قد تكون قد نجحت بشكل جزئي ، ولكنها لابد أن تفشل وتنتصر القيم الخيّرة التي تسعى لخير الإنسان والبشرية جمعاء...﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ [الرعد ١٧] .

---

(١) د. فخري الدباغ – غسيل الدماغ ص ٣٣١.

المبحث الثاني

نماذج من الدعايات المعادية

نتناول الآن ثلاثة نماذج من الدعايات المعادية للإسلام والمجتمع الإسلامي، وهي:

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية.

ثانياً: الدعاية الشيوعية الملحدة.

ثالثاً: الدعاية الغربية الصليبية.

ونظراً لخطر هذه الدعايات الثلاث اقتصرنا عليها، وسنبسط فيها البحث، حتى يطلع المسلم على مكامن الخطر فيحذره، ويعرف مصدر الشر فلا يقع فيه.

والحق أن الدعايات الثلاث هذه تمثل الثالوث المعادي للإسلام وتقف بتحالف شرس على الرغم من تباين أهدافها ضد الإسلام والمسلمين، وتعتبره عدوها الأكبر، الذي يجب أن تقضي عليه، حتى تحقق أهدافها في التغرير بالمسلمين أولاً وابتلاع دار الإسلام ثانياً.

تُرى هل وعى المسلمون هذه الدعايات حق الوعى، واتخذوا التدابير الكافية للوقاية من شرورها؟ هذا السؤال جوابه عند المسلمين ، الواعين منهم بشكل خاص، الذين يدركون جيداً مدى خطر هذا الثالوث. في هجمته الشرسة على الإسلام والمسلمين ، ومما زاد البلاء بلاءً « والحَشفُ سوءَ كيلة » أن وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية ذاتها تُستخدم ضد عقيدة أمتها وبلادها، وكيف لا ومازالت وسائل الإعلام في أكثر العربية والإسلامية عبيدة للإعلام الغربي خاصة ولوكالات أنبائه، تنقل عنهم حرفياً الأخبار وتفسيرات الأخبار من وجهة نظرهم المنطلقة من مصالحهم الخاصة.

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية:

(١) **مراحل الدعاية اليهودية:** لا نريد في هذا البحث أن نذهب بعيداً في تحليل الدعاية اليهودية وتقويمها، أو تبيان تاريخها القديم مع الإسلام خاصة، وإنما همنا الأول أن نشير إشارات سريعة إلى الدعاية اليهودية ومراحلها التي مرت بها بعد الثورة الفرنسية عام ١٧٨٧م وحتى الوقت الحاضر، وكيف أنها كانت تسير في خطة دقيقة، لكل مرحلة من المراحل .. فضلاً عن بناء هذه الدعاية على أسس مدروسة، مستندة على نظريات علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته العملية في الأفراد والمجتمعات..

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يغطون في نوم عميق، لم يستيقظوا فيه إلا بإعلان « الدولة اليهودية » المزعومة في فلسطين واعتراف الدول بها وعلى رأس هذه الدول روسيا وأمريكا..

وإن في إطلاع المسلم اليوم على ماهيَّة الدعاية اليهودية وتخطيطها والمرتكزات التي تستند عليها والمذاهب التي تسخرها لخدمتها.. يزيد في وعيه لحاضره ومستقبله ليدرأ عن نفسه الخطر، ويعد للأمر عدته لتحرير أرضه ومقدساته، وردع اليهودية العالمية التي تعيش في ظل الدول الكبرى.

وقد مرت الدعاية اليهودية في خمس مراحل نوضحها فيما يلي:

المرحلة الأولى: هذه المرحلة أطلق عليها مرحلة « الدفاع اليهودي » وتبدأ إجمالاً منذ الثورة الفرنسية ١٧٨٧م وتنتهي في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت مرحلة أعدت لتكون الأرضية المهيأة للدعوة الصهيونية على أنها حركة سياسية قامت على أساس استخدام الأدب، وإعادة كتابة التاريخ ليكونا وسيلة من وسائل الدفاع عن الطابع اليهودي، وذلك لإحياء الشعور بأن اليهودي لا يختلف عن غيره، وأن عليه أن ينظر إلى الآخرين نظرة المساواة لا نظرة التبعية، ونعرف قيمة هذه المرحلة إذا

عرفنا وضع اليهودي في المجتمعات التي كان يعيش فيها، وأنه كان منبوذاً، يشعر بالذل والضعف والاحتقار من قبل الآخرين[١].

المرحلة الثانية: وتبدأ بالقرن العشرين وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، وفيها يضع « هرتزل »[٢] كتابه عن الدولة اليهودية، وفيها تصبح الدعاية الوجه الآخر للحركة السياسية، إذ تتجه إلى الرأي العام الدولي، وعلى وجه التحديد ذلك الرأي العام الذي يستطيع أن يؤثر في القوى المتحكمة في السياسة الدولية بقصد اكتساب تلك الشرعية التي هي في أشد الحاجة إليها، مع القيام بعملية تخدير وتعتيم كاملة لحقيقة أهداف الحركة الصهيونية[٣].

وفي هذه المرحلة تبلور الفكر اليهودي بإيجاد الحركة الصهيونية، وهي الحركة السياسية التي تزعمها « هرتزل » ووقفت نفسها على إيجاد وطن لليهود، يجتمعون فيه، وإن كانت الأفكار الصهيونية، والمؤسسة للمنظمة الصهيونية العالمية، وجدت قبل نهاية القرن التاسع عشر عند كل من الحاخام « يهودا القالعي »[٤] والحاخام « زفي هيرش كاليشر »[٥].

---

(١) الحرب النفسية في المنطقة العربية – الدكتور حامد ربيع – ص ٦٠.

(٢) تيودور هرتزل (١٨٦٠– ١٩٠٤م) أول رئيس للمنظمة الصهيونية .

(٣) ارجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية – حامد ربيع ص ٦١.

(٤) الحاخام يهودا القالعي (١٧٩٨ – ١٨٧٨م) ولد في سيراجيفو عاصمة إقليم الصرب اليوغسلافي، أصبح حاخاما تشبها بوالده ونشر في ١٨٣٤م كتاب تحت عنوان « اسمع يا إسرائيل » عبر فيه عن ضرورة القيام بمجهودات ذاتية للخلاص الذاتي ودعا فيه إلى الهجرة الجماعية واتحاد اليهود واختيار قادتهم وإلى تكوين ما أسماه (بالجسم اليهودي العالمي) وهو ما تمخض بعد ذلك عن المنظمة الصهيونية.

(٥) الحاخام زفي هيرش كاليشر : بولندي . ظل يعمل حاخاما لمدة ٤٠ سنة ويعد من أوائل الدعاة الصهيونيين (١٧٩٥– ١٨٧٤م) ولم تخرج دعوة كاليشر عن عملية إضفاء الشرعية الدينية =

وكانت دعوة القالعي واضحة، إلى الدولة اليهودية، والعودة إلى الأرض المقدسة فكما يقول في رسالته المعنونة باسم « الخلاص الثالث » ١٨٤٣م ونصه: « مكتوب في التوراة : (ارجع يا رب إلى ربوات ألوف إسرائيل) وقد علق الحاخامون على هذا القول في التلمود بما يلي: إنها برهان على أن الحضور الإلهي يتم في وجود اثنين وعشرين ألفاً من اليهود معاً . ثم يستطرد الحاخامون ومع هذا نصلي كل يوم: دع عيوننا تشاهد عودتك برحمة إلى صهيون (وتقال ثلاث مرات يومياً في الصلاة الصامتة) ثم يسأل القالعي : على من سيقع الحضور الإلهي ؟ على الأرض والحجارة؟ إذاً كخطوة أولى لخلاص نفوسنا يجب أن نعمل على إعادة اثنين وعشرين ألفاً إلى الأرض المقدسة. وحرّم القالعي اسم إسرائيل على اليهود إلا في الأرض المقدسة فيقول : (نحن شعب يليق بنا أن ندعي إسرائيل في أرض إسرائيل فقط)[١].

لذلك يحق لكثير من الباحثين أن يعزوا إليه وإلى معاصريه إبراز الفكرة الصهيونية السياسية والرواية التفسيرية لها، في ضرورة الاعتماد على الجهود الذاتية لليهود، وفي هذه المرحلة وجدت الصهيونية في اللاسامية مجالاً خصباً لكي تؤدي دورها في مجالين مختلفين في مدلولها:

أ-المجال اليهودي:

١- حاولت أن تؤكد على انفصال اليهود عن بقية الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها، وحاولت دائماً - مستغلة في ذلك الخلفية الدينية والتاريخية - تأكيد نزعة الخوف وعدم الثقة في نفوس اليهود، حتى إن كثيراً من المؤرخين يذهبون إلى القول

= على الحركة الصهيونية . (ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف - محمود سعيد عبد الظاهر - القاهرة ١٩٧٩ص ٢٠ - ٢١).

(١) الصهيونية وسياسة العنف - ص ٢١.

أن القادة الصهيونيين تورطوا مع مدبري الحوادث التي تعرض لها اليهود في عام ١٨٨١م وحوادث كيشينيف عام ١٩٠٣م[١] وأنهم أدوا دوراً كبيراً في تأجيج أوار الدعوة الاضطهادية المظللة إلى حد تعاونهم الكامل مع مدبري الحوادث التي راح ضحيتها العديد من أبناء دينهم[٢].

٢- عملت على إيقاظ الإحساسين النفسيين: مركب العظمة بسبب الشعور بالانتماء إلى الشعب المختار. ومركب النقص الناجم عن النظرة العامة لليهود، لتعمل على تدعيم الجو الانطوائي لليهود.

٣- زيفت التاريخ وأوردت الحكايات والأساطير وأخذت تؤكد على تميّز الجنس اليهودي، وجعلوا من طبيعة انتماء الأفراد إلى دينهم طبيعة جنسية، وأصبغوا على اليهود في كل زمان ومكان صبغة الأمة[٣].

---

(١) حوادث ١٨٨١م: قامت موجة من الإرهاب عمت روسيا بعد اغتيال القيصر الروسي الكسندر الثاني والذي حكم روسيا من ١٨٨١ – ١٨٩٥م وكان ممن اغتالوه ثلاثة من اليهود، فقامت ضد اليهود المذابح والاضطهادات المختلفة.

أما «كيشينيف» فمدينة روسية وصلت نسبة اليهود فيها عام ١٨٦٧م إلى أكثر من خمس سكانها، وفي عام ١٩٠٣م قامت مظاهرات وقلاقل ضد اليهود قتل فيها سبعة وأربعين وجرح اثنين وتسعين ولم تتدخل الشرطة القيصرية إلى جانب اليهود (المرجع السابق ص ٢٣ و ٢٤).

(٢) واليوم تعود الصهيونية وتقوم بالدور السابق نفسه. فقد ثبت أنها وراء ما يدعي بالنازية الحديثة/ وأن هناك بنكاً يهودياً يمول عمليات النازية الحديثة، وأنها وراء كل الحوادث ضد اليهود ومؤسساتهم في أوروبا. فالقنبلة التي انفجرت أمام الكنيس اليهودي في باريس خلال تشرين أول ١٩٨٠م ثبت أنها من صنع شخص يهودي: ارجع إلى مجلة الحوادث ١٣ شباط ١٩٨١ العدد ١٢٦٢ مقال بعنوان : الصهيونية تعيد «ليلة النجمة» النازية في ألمانيا .

(٣) المرجع السابق ص (من ٢٣ وحتى ٢٦).

ب - المجال العالمي:

١- قامت الصهيونية بتأكيد الذات الصهيونية التي استمدت خصائصها من اليهودية، وحاولت حصر اليهود في النطاق الصهيوني، وربطت مصالح اليهود بمصالحها وأخذت تنوب عنهم عند حكوماتهم.

٢- قام « هرتزل » المنظم الأول للصهيونية الحديثة يتكلم باسم يهود العالم كله خلال محادثاته مع حكوماته الدول الأخرى[١].

٣- أعادت الصهيونية كتابة التاريخ اليهودي وصياغته بشكل يتوافق مع المدلولات التي ترتكز عليها، وأوضحت في كثير من كتاباتها أن المساندة في إنشاء دولة لليهود وما يلي ذلك هو مرحلة البعث القومي لليهود أو كما سماها القالعي « الخلاص الثالث » وأن اليهود عندما يغتصبون فلسطين فإنهم يعودون إلى أرض الأجداد، حتى إنهم أطلقوا على حرب ١٩٤٨م تسمية حرب الاستقلال.

---

(١) كما فعل مع « فون باكسيلاف » وزير الداخلية القيصري وذلك للسماح بالهجرة اليهودية في مطلع القرن العشرين. وكما فعل مع السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٨٩٨م الذي قابله - بتوسط من السفارة الألمانية - وطلب منه السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وقدم له «هدية» تقدر بخمسة ملايين ليرة ذهبية .. وبعد أن استمع السلطان إلى هذا العرض بكل هدوء أمر مرافقه أن يطردهم من القصر واصدر على الفور أمراً بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين (ارجع إلى « أسرار الانقلاب العثماني » مصطفى طوران ترجمة كمال خوجه ص ١٦، ١٧ - ط بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).

وهكذا يكون السلطان عبد الحميد هو السد الأخير ضد تسرب اليهود إلى فلسطين؛ يسجل له موافقه « هرتزل » في يومياته؛ أجوبته له على عروضه المالية: « إني لست مستعداً أن أتخلى عن شبر واحد من هذه البلاد لتذهب إلى الغير فالبلاد ليست ملكي بل هي ملك شعبي، وشعبي رَوّى تربتها بدمائه، فليحتفظ اليهود بملايينهم من الذهب « أيضاً »، إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتي» (ارجع إلى « في قضية فلسطين - الحق والباطل » نبيل شبيب ص ٣٢ - ط المركز الإسلامي في آخن - ألمانيا الاتحادية ١٣٩٨/ ١٩٧٨م.

ودعوى أن اليهود يعودون إلى أرض الأجداد دعوى هزيلة تتعارض مع التاريخ نفسه، إذ يذهب كثير من العلماء المختصين بتاريخ الشعوب إلى الاعتقاد بأن يهود اليوم ليسوا أصلاً من أحفاد بني إسرائيل الذين بعث إليهم موسى عليه السلام، وليسوا من سلالة إبراهيم عليه السلام[١].

وفي هذه المرحلة تمركزت الصهيونية في « جنيف »، وأنشأت فيها (أي في هذه المرحلة) « لجنة الإعلام العام » عام ١٩٢٩م في أمريكا، حيث استطاعت هذه اللجنة أن تدفع بإرسال نصف مليون برقية إلى البيت الأبيض، وأن تحقق تجمعاً ضم ربع مليون يهودي يصيح بالأغنية اليهودية التقليدية : « إذا نسيتك أنت يا بيت المقدس فلتصب ذراعي اليمنى بالشلل»[٢].

المرحلة الثالثة: وتمتد هذه المرحلة من بداية الحرب العالمية الثانية وحتى الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي، وبإنشاء ما يسمى بدولة « إسرائيل » وهذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ الحركة الصهيونية ، لأن الحركة السياسية انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث جعلت هدفها إيجاد تيار قوي من الرأي العام الأمريكي يقوده مجلس الطوارئ الصهيوني من خلال مسالك معينة؛ بحيث تتبنى السياسة الأمريكية مهمة الدفاع عن شرعية إقامة دولة يهودية، وفي هذه المرحلة تتصف الدعاية اليهودية بأنها داخلية، وتنبع من مواقف داخلية بقصد

---

(١) لزيادة الإطلاع على التاريخ اليهودي يرجع إلى ما يلي:

١- « الصهيونية وسياسة العنف » ص ٢٥/٢٦.

٢- « في قضية فلسطين – الحق والباطل .. (مرجع سابق)، ومن الذين دللوا على أن يهود اليوم ليسوا من بني إسرائيل – على سبيل المثال لا الحصر – اليهودي « فريد ريك هرتس» في كتابه (الجنس والحضارة). و« ريبلي » في كتابه (أجناس أوروبا) و«أوجين بتار» في كتابه (الأجناس والتاريخ) وغيرهم.

(٢) الحرب النفسية في المنطقة العربية – حامد ربيع – (ص ٦١ – ٦٢).

التحكم في القوى السياسية الأمريكية. وهنا نلاحظ مدى عمق التخطيط الدعائي الصهيوني، فلو أن الحركة الصهيونية جعلت منطلقها الدعائي لندن أو جنيف لما كانت استطاعت أن تغزو الرأي العام الأمريكي، السبب في ذلك يعود أساساً إلى ذلك المتغير والذي كثيراً ما يخفى على المسؤولين في الإعلام العربي، وهو أن الدعاية الداخلية تختلف اختلافاً جذرياً عن الدعاية الخارجية، فانتقال الحركة الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية سمح لها أن تجعل منطلقها الاتصالي هو نظرية الدعاية الداخلية على عكس ما كان يمكن أن يحدث لو قدر لها أن تتمركز في جينيف أو لندن، إذ إن دعايتها في تلك اللحظة تصير دعاية خارجية، والواقع أن الحركة الصهيونية منذ بدايتها فهمت هذه الحقيقة، وهي لذلك عندما أرادت أن تقوم بدعاية في تركيا ومنذ بداية القرن الحالي أرسلت اثنين من قادتها ومفكريها وهم أولاً « جاكوبسن » يساعده الزعيم المشهور « جابوتنسكي »[١] للإشراف على أجهزة الدعاية الصهيونية ابتداء من (اسطنبول) واستناداً إلى الأقلية اليهودية الضخمة التي كانت ولا تزال منتشرة في تلك المنطقة[٢].

---

(١) جابوتنسكي: روسي الأصل من مدينة أوديسا على البحر الأسود – ولد عام ١٨٨٠م وتوفي عام ١٩٤٠م. وهو من رواد الصهيونية الأوائل، ونادى بالعنف وبالقتال المسلح حتى تكون لليهود دولة في فلسطين .. ومن تلاميذه في سياسته « مناحيم بيجين » (ارجع إلى « الصهيونية وسياسة العنف » زئيف جابوتنسكي وتلاميذه في السياسة الإسرائيلية – إذ إن الكتاب يدور حوله).

(٢) اقنع « فيكتور جاكوبسن» وهو مندوب المنظمة الصهيونية في العاصمة التركية « دافيد ولفسهون» زعيم المنظمة بتركيا، وفعلاً وصل جابوتنسكي إلى اسطنبول عام ١٩٠٩ وتشكلت اللجنة الصحفية في تركية من كل من (جاكوبسن وهو تشبرغ وجابوتنسكي) وأصبح الأخير مشرفاً على الوكالة الصحفية الصهيونية التي تصدر في الأستانة والتي تضم الصحف الآتية:

١- صحيفة « الشباب التركي » وتصدر باللغة الفرنسية.

٢- « الفجر » مجلة أسبوعية وتصدر بالفرنسية أيضاً.

٣- مجلة أسبوعية باللادنيو (اللغة اليهودية الأسبانية). =

وفي أمريكا تحددت أهداف العمل الدعائي بالنسبة للصهيونية السياسية في أربعة أبعاد:

أ- اكتساب الرأي العام المحلي الأمريكي بحيث يصير قوة مساندة للحركة الصهيونية في النطاق الدولي.

ب- القضاء على أي فرقة داخلية من حيث التعبيرات الدعائية، أن خلافات الأسرة لا يجوز أن تخرج من نطاق منزل العائلة أمام المجتمع الخارجي بحيث تظهر الحركة الصهيونية قوة واحدة متماسكة لا تنفصم.

جـ- الحركة الدعائية وقد أضحت مركزية، مركزة ومتناسقة فمن الطبيعي أن يسهل عليها أن تصير عدوانية مهاجمة استفزازية ولا تكتفي باتخاذ موقف الدفاع عن القضية.

د- وذلك إلى جانب خلق درجة معينة من درجات التضامن مع المجتمع اليهودي الأمريكي والحركة الصهيونية أساسها لا فقط الإيمان بتلك الدعوة بل والتعصب في الدفاع عن المبادئ التي تتضمنها العقيدة الجديدة[1].

= ٤- مجلة أسبوعية باللغة العبرية وتدعى (المبشر) وكتب فيها جابوتنسكي العديد من المقالات.

(ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف ص ٥٤).

وظل في هذا المنصب لمدة عامين. في خلال هذه الفترة أحدث تغييراً كاملاً في أسلوب التعامل مع القوى اليهودية التركية، كانت الدعاية الصهيونية تقوم على تضليل رجال «تركيا الفتاة» في محاولة إقناعهم بأن الصهيونية لا تسعى إلى إقامة دولة يهودية في فلسطين بل إلى مجرد السماح لهجرة اليهود بحرية «على العكس من ذلك بدأ جابوتنسكي تعاملاً أساسه الدعوة في مفهومها الحقيقي: ليس الكذب وإنما الصدق، ليس محاولة الحصول على التأييد وإنما السعي نحو خلق الأنصار، وأعد خطة بعد ذلك بقصد تنفيذ حركة ثقافية تربط اليهودي بتقاليده الحضارية» (ارجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية – حامد ربيع ص ١٠٤).

(١) الحرب النفسية في المنطقة العربية ص ٦٦.

والذي يعنينا في هذه المرحلة البحث عن أسباب النجاح الذي حققته الدعاية الصهيونية خلال الفترة السابقة على الاعتراف الدولي.

أيعود النجاح إلى التخطيط الدعائي للصهيونية؟ أم إلى القادة والدعاة الذين قادوا هذا التخطيط؟ أم لكليهما معاً ؟

والواقع أن التخطيط يحتاج إلى قائد ينفذه بأحكام ودقة، وإلا كان حبراً على ورق. لقد كانت البداية للعمل الدعائي الصهيوني في أمريكا، دراسة الخلفية الاجتماعية له.. ما هي شرائح المجتمع التي تتوجه الدعاية له؟ فهناك:

أولاً: اليهودي الأمريكي: الهدف بخصوصه واحد لا يتعدد، هو خلق المؤمن المتعصب الذي هو على استعداد لأن يتخلى عن كل شيء، ثروته وأسرته بل وحياته في سبيل الأرض الموعودة . وإذا كان هذا الهدف هو الحد الأقصى فهناك حد أدنى في مواجهة اليهودي الأمريكي: التأييد المادي والمعنوي الإيجابي والمنتظم، والمستمر الذي لا ينقطع ولا يتوقف.

ثانياً: ثم هناك الأمريكي غير اليهودي: وهنا الهدف يختلف، فالدعاية الصهيونية تسعى لأن تخلق من أبناء المجتمع الأمريكي غير اليهودي موجات كاملة لتأييد القضية أو على الأقل العطف عليها.

ثالثاً: ولا تنسى الدعاية الصهيونية من هو خارج المجتمع الأمريكي وبصفة خاصة مَنْ آمن بالصهيونية وأضحى بالنسبة للقضية يمثل الطابور الخامس في المجتمعات الأوروبية، حيث لا يزال لتلك المجتمعات أهميتها وقدرتها في نطاق التوازن الدولي ومن ثَمَّ في صنع القرار السياسي.

وهكذا نجد الشرائح الاجتماعية التي تتجه إليها الدعاية الصهيونية تتداخل: فاليهودي منه الصهيوني وغير الصهيوني، والصهيوني منه اليهودي وغير اليهودي وكل هذا لابد أن يفرض تخطيطاً متكاملاً.

فما هي هذه العقول التي استطاعت أن تحقق هذه العملية؟

لقد كان هناك ثلاثة مفكرين قادوا العمل الدعائي الصهيوني في المجتمع الأمريكي وهم: نويمان وسيلفر ولوين. ونوجز عمل كل واحد منهم، لنطلع على حقيقة الدعاية اليهودية ومسارها الخبيث في كسب الأنصار والمؤيدين..

أ- نويمان[١]: قام بتنظيم لجنة أمريكية لفلسطين كانت تتكون من بعض أعضاء مجلس الشيوخ ومن بعض كبار المسؤولين في الحياة السياسية الأمريكية.

وهذا يفصح عن حقيقة تصوره للحركة الصهيونية؛ وهو خلق مسالك واضحة ومحددة للوصول إلى مراكز القوى. بهذا المعنى استطاع أن يتغلغل في أوساط قادة الرأي في المجتمع الأمريكي.

وفي عام ١٩٥٤م أنشأ معهد هرتزل ثم مطابع هرتزل وأخيراً مؤسسة هرتزل التي تنشر المجلة الشهرية « ميدستريم» والتي تعد محور الدعاية والدعوة الصهيونية في الولايات المتحدة[٢].

ب- سيلفر[٣]: هو الرجل الثاني الذي تدين له الدعوة الصهيونية بوضع قواعد وأصول التخطيط للعمل الدعائي وما قدمه حقيقة هو قيادته الواضحة التي برزت

---

(١) قائد صهيوني وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو طفل، تعلم العبرية ولا يتكلم في بيته إلا بها، ولد عام ١٨٩٣م ومنذ شبابه الأول اشتهرت عنه الحركية حتى إنه في عام ١٩١٠م وهو في السابعة عشرة من عمره أسس ما يسمى بجمعية الشباب اليهودي، اشترك في المؤتمر الصهيوني عام ١٩٢٠م، مثل القوى اليهودية الأمريكية في المؤتمر الصهيوني بل وانتخب عام ١٩٣١م عضواً في الهيئة التنفيذية للصهيونية العالمية، عقب ذلك انتقل إلى القدس حيث رأس ما أسماه « الوكالة اليهودية للإدارة الاقتصادية » (انظر المرجع السابق ص ٦٨).

(٢) المرجع السابق ص ٦٩.

(٣) سيلفر : ولد عام ١٨٩٣م في لتوانيا وتوفي في أمريكا عام ١٩٦٣م، حصل على عدة درجات للدكتوراه من أكثر من جامعة غربية. خطيب مفوه، استطاع أن يكتل الرأي العام الأمريكي واليهودي للدفاع عن القضية الصهيونية.

منذ أن قاد الصراع في أمريكا وخارجها في سبيل الاعتراف بالدولة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها.

ج- لوين[١]: استطاع من خلال نظرياته - وهو عالم النفس - أن يقيم البناء الكلي المتكامل لمنطق الدعاية الصهيونية - وأن يواجه اليهود غير الصهيونيين والمعادية لها.. ويدرسهم دراسة نفسية واجتماعية[٢] واستطاع بعد ذلك أن يواصل ما أسماه بفكرة الكراهية الذاتية، وأن يستخلص منها منطقاً دعائياً كان أساساً للحملة المخيفة التي تولى مجلس الطوارئ الصهيوني شنها على خصومه من اليهود.

المرحلة الرابعة: وتمتد قرابة عشرين عاماً، وذلك منذ الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي وعلى رأس هذه الدول « روسيا وأمريكا »، وحتى نكبة عام ١٩٦٧م في الخامس من حزيران. وفي هذه المرحلة صبغت الدعاية الصهيونية بطابع متميز، هذا الطابع هو أنها دعاية سياسية داخلية وخارجية بآن واحد، وقُدمت هذه الدعاية بصورة ملمعة بحيث استحوذت على إعجاب الرأي العام الدولي، وهي بالوقت نفسه خدرت الرأي العام الأمريكي وأقنعته بادعاءات باطلة ومن أشهرها تناقضاً مع التاريخ، دعواهم التي أطلقوها في العالم أنهم جاؤوا إلى أرض قاحلة خالية من السكان، أو أن سكانها أهملوها، وعجزوا عن النهوض

---

(١) لوين : عالم لعلم النفس والاجتماع - أصله ألماني ولد عام ١٨٩٠م وترقى في مناصب العمل الجامعي حتى وصل إلى كرسي الأستاذية بجامعة برلين عام ١٩٣٢م، في ذلك العام هاجر إلى الولايات المتحدة وبدأ حياته في جامعة « كورنيل » ومنها انتقل إلى معهد « ماساشرسيتس للتكنلوجيا» حيث أنشأ مركزاً لأبحاث ديناميات الجماعة، ابتداء من عام ١٩٣٨م بدأ لوين يهتم اهتماماً خاصاً بنظرية الشخصية وعلاقتها بمشاكل الجماعة.

وكان الالتقاء بين سيلفر ولوين هو نقطة البداية.

(٢) ارجع إلى المرجع السابق ص (٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤) للإطلاع على هذه الدراسة.

بها... وأن الصهيونيين جاؤوها رسلاً للحضارة.. ليعمروها بعد الخراب ويزرعوها بعد البوار ويصنعوها بعد التأخر[(١)].

وأنهم عادوا إلى بلدهم الأول، فلسطين، البلد الذي ظهر فيه أنبياؤهم ووعدتهم به توراتهم، وقام به «هيكلهم» المندثر[(٢)].

وقد أدركت اليهودية أنها ، بعد الحرب العالمية الثانية، تتعامل مع إنسان يمقت الحروب والاحتلال والعدوان، ويبحث عن العمران والسلام، فرفعت شعارات «إسرائيل المعجزة» «وإسرائيل المسالمة» و«إسرائيل التي تحول الصحراء إلى جنة» و«إسرائيل الساعية لوقاية نفسها دعماً للسلام».

ثم وضعت «تكتيكاً» صالحاً لإخفاء «إستراتيجيتها» التوسعية . مهّدت به الطريق، للتأكد من دعم الغرب لها في أي معركة فاصلة على أساس أن دور إسرائيل سيكون فقط وقاية نفسها لا الرد على القوة بالقوة، وما زالت تعابير الحرب الوقائية التي سادت زمن حرب السويس (١٩٥٦م) ترن في آذاننا، ومازلنا نذكر كيف استقطبت إسرائيل جانباً لا يستهان به من الرأي العام في العالم[(٣)].

---

(١) يقول عارف العارف في كتابه «الفصل في تاريخ القدس» فصل «القدس كما رأيتها عام ١٩٤٧ م» «لقد كان في القدس وحدها يوم احتلال الجزء منها : ٢٠٠ مدرسة وأكثر من ٤٠ مكتبة وداراً للكتب، وأكثر من ٢٠٠٠ جمعية ورابطة أدبية وثقافية ورياضية وخيرية وعشرات المستشفيات، وكان فيها العديد من مصانع النسيج والقيشاني والخزف والبلاط والشمع والأخشاب، وكانت مركزاً تجارياً زاهراً فيه أكثر من ثلاثين سوقاً تجارية.. أما الزراعة في فلسطين فإن أشجار الزيتون التي غرست قبل خمسة آلاف عام أو أكثر لم ينقطع ثمرها إلا بعد احتلال اليهود الحديث لفلسطين».

(٢) ارجع إلى «قضية فلسطين – الحق والباطل» نبيل شبيب ص ١٥.

(٣) تخطيط الإعلام العربي – عقيل هاشم ص ٧١.

وبعد حرب السويس عام ١٩٥٦م وضعت اليهودية خطة جديدة في الدعاية تتمشى مع خطتها التوسعية القديمة، والتي تنتظر الفرصة الملائمة لوضعها موضع التنفيذ، فأخذت الدعاية اليهودية ترفع شعارات فحواها أن العرب مصممون على إفنائها، وكررت هذه الشعارات حتى أصبحت في أذهان الناس حقيقة لا تقبل المناقشة، ومن ثم راحت تلوك عبارة « الحرب الدفاعية » متبعة ذلك حملات استدرار الدموع لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وذلك بوساطة أفلام « سينمائية » غزت بها دور السينما، والرائي (التلفزيون) في العالم، على مدى عشرين سنة ولا تزال سائرة على هذا المنوال.. هذه الأفلام تصور آلام اليهود واضطهادهم على يد الألمان النازيين مثل فيلم « آن فرانك » الذي يدور حول طفلة كتبت مذكراتها عن تعذيب النازيين لأسرتها، وكذلك أفلام تصور العودة إلى أرض الأجداد «فلسطين» مثل فيلم « الخروج » الذي يدور حول قيام « إسرائيل » الدولة المزعومة.. وأفلام تلمع وجه اليهود الكالح في نظر النصارى.. وتستهدف إبعاد تهمة قتل المسيح عن اليهود وتحميلها للرومان مثل فيلم « بن حور »[1].

وهكذا أخذت الدعاية اليهودية منذ الخمسينات وعن طريق « استوديوهات هوليوود»[2] تنشر العديد من الأفلام لشحذ ذكرة الرأي العام في الغرب حتى لا ينسى اليهود ما أصابهم على يد النازيين وغيرهم[3].

---

(١) جريدة الرياض – العدد ٤١٦٩ – مقال « هولكوست بين شحذ الذاكرة واختصار التاريخ – مصطفى اليحياوي.

(٢) مدينة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية.

(٣) إن اليهودية العالمية استغلت الاضطهاد النازي لليهود ولعدة قوميات أخرى لتمارس على الرأي العام الدولي والشعور الإنساني ضغوطاً لا تطاق، تذيقه من أنواع التأنيب واللوم على مدى ثلاثين سنة، مما جعل الرأي العام الغربي يصيح : نعم أذنبنا وقصرنا، نحن مستعدون للتكفير عن ذنوبنا فأمرونا بما تريدون ولكم ما تطلبون، وهذا بالضبط ما تريده الصهيونية، وكانت السينما=

وكذلك أخذت الصهيونية تربط بين الاضطهاد النازي لليهود، والاضطهاد المزعوم التي تتعرض له الآن، مستغلة أقوال بعض الزعماء العرب، في إلقائها في البحر، ثم راحت تتمسح بحقوق الإنسان وتتغنى بالمبادئ المثالية وكل ذلك تخديراً للرأي العام وتفسيراً للعدوان الغاشم الذي أسقط القناع عن وجه اليهودية الحقيقي وسياستها التوسعية[١].

المرحلة الخامسة: وتبدأ بعد نكبة حزيران ١٩٦٧م، وهذه المرحلة تمثل نقطة الانطلاق في حركة تدريجية ترمى إلى تحويل « إستراتيجية القتال » إلى « إستراتيجية سلمية « أساسها التغلغل النفسي بالإقناع والاتصال المباشر.

« فسعى اليهود إلى تيئيس العرب من الحصول على أي نصر على اليهود، « وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقهر.. وهذا ما يتبين من خطب الدوائر الحاكمة في «إسرائيل»[٢] وخاصة خطب « أبا أيبان » وزير الخارجية – في ذلك العهد وأن

= أداتهم في التعامل النفسي مع الرأي العام الغربي، ومن أهم الأفلام التي استخدمت لشحذ ذاكرة الغرب حتى لا ينسى اليهود هو فيلم « هولكوست» الذي يستغرق عرضه تسع ساعات، قدم بشكل مسلسل.. أخرج هذا الفيلم في نيسان عام ١٩٧٨م وعرض في أمريكا، ثم في ألمانيا وأخيراً في فرنسا (١٩٨٠م) ويحكى الفيلم قصة عائلة ألمانية يهودية تعيش في برلين ثم يقع تشتيت أفرادها وترحيلها إلى « فرصوفيا » عاصمة « بولندا » حيث قامت السلطات النازية الألمانية بجمع الجاليات اليهودية في معتقلات بنتها لهم.. ويتعرض الفيلم في أثناء ذلك إلى أنواع المعاملة السيئة التي لقيها اليهود على أيدي النازيين .. والغاية من الفيلم وعرضه الآن بعد مضى أربعين عاماً على الحرب العالمية الثانية شحذ ذاكرة الرأي العام في الغرب وفي ألمانيا بشكل خاص ولكي تعيد في أذهان الجيل الألماني الجديد ذكرى ما فعله آباؤهم، وحتى لا يعم شعور البراءة من اضطهاد اليهود، نفوس هذا الجيل (ارجع إلى المرجع السابق).

(١) د. إبراهيم أمام في «الإعلام والاتصال بالجماهير» ص ٣٣١.

(٢) كنا نفضل أن يستخدم المؤلف تعبير « فلسطين المحتلة » بدلاً من « إسرائيل » إذ إن تعبيره اعتراف ضمني بأعداء الله أنهم « دولة ».

التكتيك اليهودي يقوم على إشاعة اليأس والأمل في نفوس العرب، فهو يقول: « إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب يائسين تماماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي» .

« وفي الوقت نفسه تسعى الدعاية اليهودية إلى إشاعة روح الأمل في نفوس العرب حول الوصول إلى سلام مع اليهود، وهكذا يكون التلاعب بالألفاظ واستخدام « التكتيك » المتناقض في وقت واحد »[1] وإن احتلال اليهود لأراض واسعة (سيناء ، الضفة الغربية وهضبة الجولان) أبرز منطقا جديداً في الدعاية وهو منطق العلاقات الدولية ولو تتبعنا تطور المطالب للعدو اليهودي لبرزت هذه الحقيقة لا مجال للشك في دلالتها، وهي تنطوي على المراحل الآتية:

١- هي تبدأ بالحديث عن المفاوضات المباشرة، وهذا مفهوم منطقي ومتداول في نطاق العلاقات الدولية حيث إن كل قتال لابد وأن ينتهي بالجلوس على مائدة المفاوضات.

٢- وعقب عام (١٩٧٠م) تبدأ تركز حول فكرة الحدود الآمنة فتضعه في هذا بموقف العرب من رفض فكرة المفاوضات، وفكرة الحدود الآمنة ليست جديدة في تاريخ العلاقات الدولية.

٣- وعقب أن أضحت هذه النغمة مستقرة في الأذهان بدأت تظهر « اسطوانة» جديدة حول مفهوم السلام وفرض ما تسميه بالسلام العبري، ورغم أن هذا المفهوم، أي مفهوم السلام ، هو منطلق بطبيعته لسياسة القوة، لا تتحدث عنه إلا الدول المسيطرة، إلا أن جعل هذا المفهوم يتدرج في منطلقات متتابعة ابتداء من

---

(١) د. إبراهيم إمام في « الإعلام والاتصال بالجماهير » ص ٣٣٢.

فكرة المفاوضات المباشرة ومروراً بمفهوم الحدود الآمنة، لابد وأن يعطى فكرة السلام دلالة تختلف عن حقيقتها[(١)].

وعلى المستوى الداخلي، في الأراضي المحتلة (عام ١٩٤٨م وعام ١٩٦٧م) بدأت الدعاية اليهودية تتحدث « بلغات متعددة» نظراً للكثافة السكانية العربية والتي باتت تحت سيطرتها، بحيث تخاطب سكان كل منطقة على حدة، إن المنطق واللغة التي تحدث بها الضفة الغربية يختلفان عن منطق ولغة أهالي غزة. ورغم أنها تجعل من هذا الحديث وسيلة وقناة لمخاطبة الرأي العام العربي إلا أنها تركز على أبعاد مختلفة تبعاً لكل منطقة: فعدم المساواة بين الفلسطينيين وأهالي الأردن، ووضوح الفقر والتخلف بالنسبة لأهالي الضفة الغربية لو قورنوا بأبناء الأردن تصير منطلقاً لحديث تختلف نبراته عندما ننتقل إلى أهالي غزة حيث نجد العزف على وتر آخر وهو الإرهاب المصري والعنجهية الفرعونية[(٢)].

أما على المستوى الخارجي فإن الدعاية اليهودية أخذت مساراً آخر، فهي أولاً: تطرح الوجود اليهودي كرائد في الشرق الأوسط، وأنه يعمل على تحقيق الرسالة التاريخية الحضارية، وقيادة الإنسانية المعذبة المتركزة في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

---

(١) د. حامد ربيع « الحرب النفسية في المنطقة العربية » ص ٩١. وانظر أيضاً «الجيروز اليم بوست» بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢٧ حيث يصرح أبا أيبان وزير خارجية العدو رداً على سؤال عن إمكانية الصلح مع العالم العربي، وفيه تتضح أن السياسة الخارجية للعدو تقوم أساس اقتناع العرب بحقائق متعددة: أولا استحالة هزيمة العدو اليهودي من جانب العرب، وثانياً: استحالة أي تدخل أجنبي في هذا الصراع ، وثالثاً: الاقتناع بأنه لا يمكن تغيير الوضع القائم إلا من خلال محاولة استكشاف شروط السلام (ص ١١١ – الهوامش لنفس المصدر).

(٢) د. حامد ربيع – المرجع السابق ص ٩١.

وهي ثانياً: تحتاج إلى طاقة بشرية من اليهود، تملأ بها الأماكن الشاسعة التي احتلتها، وخاصة من يهود «الإمبراطورية الروسية» والذين أخذوا يهاجرون في موجات متتابعة إلى الأرض المحتلة[1].

وهكذا تتضح الأهداف التي يسعى إليها العدو اليهودي من خلال دعايته الخارجية كما يلي:

١- تثبيت الأقدام حيث وصلتْ، وإقناع العالم بأن ما وصلت إليه يمثل الوضع القائم الذي يجب حمايته.

٢- تأكيد أن « إسرائيل » تمثل حلقة الوصل بين العالم العربي والعالم الغربي وأنها الوحيدة التي تسعى إلى تحقيق مصالح الغرب في الشرق، وعلى الغرب أن يتخلى عن فكرة اتصاله المباشر بالعرب لأنه لا يفهمهم، وهي الوحيدة التي فهمتهم.. وهذه النتائج (انتصارها في الحرب) خير دليل على صحة هذه الدعوى.

٣- إبراز « إسرائيل » على أنها وحدها تستطيع حماية الشرعية في المنطقة إذ إنها أضحت الإرادة المتحكمة والمسيطرة فيها، فهي التي تستطيع وضع حد للاضطرابات وخلق حالة سلام في المنطقة . وتؤدّب الإرهابيين أينما كانوا (في لبنان وغيره) وتعلن أن هدفها هو تعقّب الثوار ضد النظم العميلة للغرب..

٤- تقديم « إسرائيل » على أنها حربة متقدمة لحماية المصالح الأمريكية، والمصالح الأمريكية كثيرة جداً في المنطقة، فالمصادر البترولية، والتحكم في البحر الأحمر ليس فقط بثرواته بل وبممراته ومواصلاته.. من أولى هذه المصالح. وهذا يتضح بارتباطاتها العسكرية والاقتصادية والعسكرية بأثيوبيا[2].

---

(١) وصل تعداد اليهود الذين هاجروا من « الاتحاد السوفيتي » إلى فلسطين المحتلة إلى (٢٣١,٠٠٠) يهودي وذلك منذ عام ١٩٧١م حتى شهر سبتمبر ١٩٨٠م (جريدة السياسة ٢٢/ ١٢/ ١٩٨٠).

(٢) المرجع السابق ص ٩٦.

(٢) المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي: تتضمن المرتكزات المنطقية الرئيسة للتخطيط الدعائي اليهودي ما يلي[١]:

١- أن « إسرائيل » حقيقة تاريخية: إذ إنها كانت قائمة في أرض فلسطين ثم فقدت استقلالها، وأن قيامها عام ١٩٤٨م كان بمثابة إعادة قيام الدولة، وعلى هذا الأساس يؤكد أن حرب « ١٩٤٨م» هي حرب الاستقلال بالنسبة «لإسرائيل ».

٢- في قيام « إسرائيل » تحقيق لنبوءة دينية : يذهب المنطق الدعائي اليهودي إلى أن هناك وعداً إلهياً خاصاً بإعطاء فلسطين لليهود وأن في قيامها تحقيق لنبوءة دينية.

٣- هناك ما يسمى بالعنصر اليهودي، وأن هناك أمة يهودية تجمعها صفة القومية اليهودية على حد زعم المنطق اليهودي، وعلى أساس هذا الزعم يقتضي الأمر أن يهاجر اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى « إسرائيل ».

٤- «إسرائيل» حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب: عاش كثير من اليهود الغربيين في أوروبا، وقد تأثر تفكيرهم بالعقلية الغربية، وأسهموا في التطور الحضاري الأوروبي لذا يزعم المنطق « الإسرائيلي » أن اليهود هم رواد الحضارة الغربية في الشرق الأوسط.

٥- « إسرائيل » تعبر عن العقائد السياسية المعاصرة: يأخذ المنطق الدعائي «الإسرائيلي» في اعتباره مُستقبلي الرسالة الإعلامية فعندما يتحدث إلى الديمقراطي الليبرالي يركز على النظام الحزبي والرقابة الشعبية والحريات الفردية وحمايتها إلخ. وعندما يتحدث إلى الاشتراكي يركز على المفكرين اليهود في المجال الاشتراكي ونظام المستوطنات الزراعية باعتبارها نموذج للتطبيق الاشتراكي.

---

(١) د. حامد ربيع – فلسفة الدعاية الإسرائيلية ص ٧٤، ٢٢، ٨٠ – بيروت – مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ١٩٧٠.

٦- « إسرائيل » تؤمن بالعالمية: صبغت الصهيونية دعوتها باسم الصهيونية العالمية وهي تزعم أن قيام « إسرائيل » تأكيداً لمبدأ العالمية والقومية اليهودية تطوّر في تحقيق المفهوم العالمي الذي لم يصل إليه أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة؟

٧- «إسرائيل» تدافع عن المسؤولية التاريخية: اتجه الفكر السياسي الغربي إلى رفض تفسير التخلف على أنه نتيجة للاستعمار، إذ يقدم تفسيره على أساس الواقع التاريخي، لتحديد مسؤولية كل مجتمع طبقاً لما وصل إليه. وقد استغلت « إسرائيل» هذا المنطق في تصوير الوضع السائد في المجتمع العربي كمسؤولية تقع عليه لأنه تَحَدَّد طبقاً لإرادته. وطبقته أيضاً في تحديد مسؤولية المجتمع الأوربي عامة والمجتمع الألماني خاصة بالنسبة للمشكلة اليهودية كمسؤولية جماعية لا يكتفي بربطها بالنظام النازي المعادي للسامية.

٨- « إسرائيل» متقدمة « تكنولوجياً » : تصور « إسرائيل» نفسها على أنها دولة عصرية تكنولوجية وترتكز على هذا المنطق تجاه الدول المتخلفة على وجه الخصوص.

٩- العالم العربي يمثل مظاهر التخلف الحضاري والنظامي والثقافي: تصور « إسرائيل » الدول العربية أنها متخلفة وأن نظام الحكم فيها دكتاتوري يتخذ من وجود إسرائيل ذريعة لبناء نظم عسكرية عنصرية رجعية مستغلة، كما تدعى أن النظم العربية تعاني فساداً في جهازها المالي والإداري، بالإضافة إلى انتشار الوساطة والمحسوبية والطائفية في تولي الوظائف.

١٠- « إسرائيل» جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط: تركز « إسرائيل» على أنها تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط، وتصور أن وجودها مستقر في المنطقة وأنها ليست دخيلة عليها، وأنها دولة أسيوية لها رسالة بين دول الشرق الأوسط والدول النامية.

١١- «إسرائيل» تمثل فكرة النموذج: تذهب إسرائيل أنها تعد نموذجاً للدول النامية مما يحتم على هذه الدول أن تستفيد من التجربة الإسرائيلية التي تحقق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وخلاصة القول أن المنطق الدعائي « الإسرائيلي» يقوم على التشويه والمبالغة والكذب والغموض، ورغم ذلك استطاعت أن تؤثر على الرأي العام بفضل ما تملكه من الوسائل الدعائية وأساليب تخطيطها وإدارتها، مما يقتضي دراستها دراسة فاحصة[١].

(٣) الدعاية اليهودية والإسلام: حاولت الدعاية الصهيونية تصوير الإسلام على أنه دين بشري مقتبس من اليهودية، عقيدة وأخلاقاً، وهي بهذا تسير على منهج المستشرقين المعادية للإسلام نفسه في القديم والحديث، والذين حاولوا دائماً أن يؤسسوا الإسلام على اليهودية والنصرانية[٢] وهذا هو أحد دعاة الصهيونية وهو المؤرخ « توري » أصدر كتاباً قبل الحرب العالمية الثانية بعنوان « التأسيس اليهودي للإسلام » يحاول من خلاله أن يثبت الأصول اليهودية ليس فقط للحضارة الإسلامية بل وللتشريعات المحمدية ذاتها ، وقد عبّر عن المفهوم نفسه «روزنتال» في كتابه الأشهر عن الفكر السياسي الإسلامي في خلال العصور الوسطى. وكلاهما يصل به الأمر إلى أن يقرر بأن القواعد اليهودية كانت مصدراً تنظيمياً للحضارة الإسلامية، وأنه في بعض الأحيان فإن التقاليد اليهودية هي وحدها التي تشبعت بها التقاليد الإسلامية الأصيلة[٣].

---

(١) الدكتور محمد علي العويني – الإعلام العربي – ص ٢١٠ القاهرة – عالم الكتب ١٩٧٩.

(٢) ارجع إلى ما يتعلق « بالاستشراق» في الدعاية الغربية من الفصل الثالث من هذا البحث.

(٣) الدكتور حامد ربيع الحرب النفسية في المنطقة العربية ص ٧٧ وإن كان المؤلف قد اتخذ هذين المؤلفين – وما فيهما من أفكار خطيرة ، نوع من التقارب بين اليهودية والإسلام وأن العلاقة بين الدين الإسلامي والدين اليهودي (الحالي) علاقة إنسانية ترتفع عن مستوى النزاع أو الصراع بين الأجناس.. وذلك ما قبل (١٩٦٧م) .. ونحن لا نوافقه على ذلك.. لأن نظرة واحدة لعنواني الكتابين ، وإيجاز المؤلف لمضمونهما ، تعلمنا مقاصد الكتابين دون تفسير للمضمون.

هذا على المستوى الفكري، حيث مازالت هذه الأفكار المشبوهة عن الإسلام هي التي يتزود بها الطلاب في جامعات أوروبا وأمريكا..

أما على المستوى الداخلي في إسرائيل ، فإن الدعاية اليهودية، تحاول أن تحور الشريعة الإسلامية في عقل المسلم، والذي يعيش في الأرض المحتلة (عام ١٩٤٨ – ١٩٦٧م) بعملية « غسيل دماغ» للأطفال المسلمين في كتب التعليم خاصة. وتغرس في فكرهم مفاهيم خطيرة، تضللهم بها وتبعدهم عن الإسلام شيئاً فشيئاً، ومن ثم تربطهم بيهود « دولتهم المسخ » لينسلخوا عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم..

ومن كتب التعليم هذه كتاب « أنا مواطن إسرائيلي » تأليف « مصطفى مراد» وهو من مبادئ القراءة العربية (الجزء الثالث) للصف الثالث الابتدائي. وفي أسفل غلاف الكتاب عبارة « إسرائيل شعب عامل»[1] ويتضمن الكتاب سموما يهودية لإفساد عقول الأطفال، وفيه تطاول على الدين الإسلامي، فالدرس الرابع مثلاً بعنوان: « بسم الله الرحمن الرحيم» وتقول كلماته: متى يقول المسلم بسم الله الرحمن الرحيم؟ إنه يقولها متى بدأ يتناول الطعام حتى تفتح شهيته للطعام (كذا).

وكتاب « علوم الطبيعة للطلاب العرب» تأليف « ياثير هشوامبي» الذي يبدأ بدرس عن الخمر، الذي يحللها ويُطْنبُ في وصف مزاياها، وتدخل في روع الطلاب أن الخمر حلال وأن الكحول يضفي على المشروب رائحة خاصة وطعما طيبا ونكهة متميزة .. وفي ص (١٢٢) من الكتاب يتحدث المؤلف عن « معامل عصير العنب في البلاد » وخاصة القديمة منها التي أقامها « المحسن اللورد روتشيلد».

وحتى أسئلة الدرس « النموذجية » تحاول أن تلقن الطالب كل المعلومات عن الخمور ومذاقاتها.. والكتاب يلتزم في عرضه لأشهر السنة بالأشهر العبرية.. كما

(١) انظر جريدة « القبس » الكويتية العدد ٢٥٣٩ تاريخ ١١/٦/١٩٧٩.

أنه يزور التاريخ حينما يتكلم عن شجرة « البطم » إذ يقول: « هذه الشجرة قدسها الكنعانيون الذين «استعمروا بلادنا» وأقاموا فيها المذابح لأصنامهم بالقرب من أشجار البطم المقدسة وأسمها العبري « إيلاه » أي الآلهة»[١].

هذا في داخل « فلسطين المحتلة » والجولان والضفة الغربية وغزة...

أما في الخارج .. حيث تسيطر الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية.. وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، فلا تخفى اليهودية وجهها القبيح وراء الأقنعة الزائفة. بل إن دعايتها صريحة في مهاجمة الإسلام والمسلمين، وإن المتتبع للحملات الدعائية ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية يجد أنها تصور العرب والمسلمين شعوباً متوحشة متعطشة لسفك الدماء، وأن الإسلام مجموعة من القوانين التسلطية في أحكامها وأنها تدفع معتنقيها إلى التطلع لبسط السيطرة السياسية على شؤون الحكم والإدارة وعلى الشعوب الأخرى.

وهناك مثال واضح على هذا القول وهو المقال الذي نشره كاتب أمريكي معروف بميوله وخضوعه للصهيونية يدعي « جوزيف كرافت » في عدة صحف ومجلات رئيسة أمريكية منها جريدة « واشنطن بوست » و« نيويورك تايمز» و«ستار ليدجر» تحت عنوان : « كيف عجز الإسلام عن الإصلاح والتطور وجعل دوره قاصراً على شؤون السياسة والحكم» ومقال آخر للكاتب نفسه « الإسلام دين تأخر وجمود جعل المجتمع الإسلامي عاجزاً عن اللحاق بركب المجتمع الغربي الحضاري».

---

(١) المرجع السابق – وتنقل الصحيفة صورتين (بالزنكغراف) لغلاف كتاب القراءة وص ١٢٢ من كتاب « علوم الطبيعة» وقد حصل كاتب المقال على الكتابين من بعض يهود الدنمرك والذين كانوا في رحلة سياحية إلى « فلسطين المحتلة ».

وأن هذين الكتابين يدرسان للطلاب العرب. إذ كُتب على الغلاف الأول لكتاب القراءة «قررت إدارة المعارف العربية تدريس هذا الكتاب في مدارسها».

وأما جريدة « سن تايمز » فقد نشرت مقالاً لكاتب صليبي ملحد ومأجور لخدمة الصهيونية يدعى « وليام غريلي» وعنوان المقال : « الماركسية أفضل من الإسلام » يقول فيه: إن الإسلام منذ أن جاء والمسيحية تعاني من تعصب المسلمين وعدائهم للمسيحين، وأورد في المقال أمثلة كثيرة عن مقاتلة المسلمين للمسيحيين منذ طردوا الروم من سورية وإفريقية وآسية الصغرى وبلاد الأندلس وحتى نهاية الحروب الصليبية، واختتم مقاله قائلاً : وهل يمكن للمسيحية في هذا العصر من التعامل مع المسلمين بأقل مما تعاملت به مع صلاح الدين الأيوبي؟ واتخذ من مقاله ذريعة لمزيد من الطعن بالمسلمين فيقول: إنّ كل من شاهد رجال الدين الإيرانيين في ثورتهم هذه وما قاموا به لابد وأن يحكم بأن الشيوعية أفضل من الإسلام!!

« وأمثلة أخرى عديدة لمشاهد عَرَضها التلفزيون الأمريكي للتهجم على الرسول الكريم ﷺ ومبادئ الإسلام وأحكام الإسلام الشرعية والقضائية. فقد عرضوا فيلماً يمثل فيه « كلب » أطلق عليه اسم « محمد » ومثلوا فيلماً آخر اسمه « قراصنة البحار » أظهروا فيه أن العرب والمسلمين هم « قراصنة ولصوص البحار»[1].

ومما لاشك فيه أن هدف الصهيونية العالمية من حملاتها الدعائية والإعلامية هو إثارة شعوب العالم الغربي بوجه عام، والشعب الأمريكي بوجه خاص لمعاداة المسلمين والعرب، وذلك لخدمة المصالح « الإسرائيلية» وذلك لكي يستمر الصهاينة في تنفيذ مآربهم الخسيسة» ومؤامراتهم الحاقدة في إحكام سيطرتهم على عقول الشعب الأمريكي وغسل أدمغته، ومن ثم تسخير هذا الشعب وطاقاته لتأييد

---

(١) من بحث قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكرتا من قبل (أحمد سعد – نيويورك- الولايات المتحدة الأمريكية) ونشرته مجلة « الإرشاد» اليمنية في العدد الثاني والثالث/ ١٤٠١هـ بعنوان : « الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها».

ومساعدة إسرائيل عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. وهذا ما هو واضح للعيان اليوم إذ إن أمريكا بقيت الدولة الوحيدة المساندة لإسرائيل نتيجة سيطرة الصهيونية ونفوذها الإعلامي في أمريكا[١].

(٤) **الدعاية اليهودية وتسخير النصرانية لها:** لقد تمكنت الصهيونية المعروفة بأساليب الدهاء والمكر من التغلغل داخل الكنيسة وفي أوساط رجال الدين «النصارى» لخدمة أهدافها الدعائية. وقد تمكنت من استخدام أكثر من (٣٠٠٠) ثلاث آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي تدفع لهم الصهيونية مرتبات شهرية ثابتة مقابل إلقائهم الوعظ في الكنائس ضد الإسلام والمسلمين والعرب.

هذا بالإضافة إلى سيطرتها على الكنيسة الإنجليكانية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ إن رؤساء هذه الكنيسة ورجال الدين فيها أعلنوا تأييدهم المطلق لإسرائيل، وجعل القدس عاصمة للدولة الصهيونية، ولا يخفى على جميع المسلمين مدى النشاط الديني والدعايات الباطلة التي يقوم بها القسيس «بيلي غراهام» رئيس هذه الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين خدمة للصهيونية[٢].

ولإحكام الصهيونية سيطرتها وإخضاعها للمؤسسات النصرانية الدينية، فقد أقامت هيئة مشتركة من رجال الدين في العقيدتين النصرانية واليهودية، وتدعى حركة «أنصار العقيدة المشتركة »، وأصبح لهذه الحركة أكثر من ٧٠ (سبعين) دائرة إقليمية وأكثر من مائتي مجموعة من الصليبية والصهيونية . وقد خصصت الصهيونية لهذه الحركة ميزانية سنوية مقدارها ستة ملايين ونصف مليون دولار أمريكي.

---

(١) المرجع السابق. والواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست الوحيدة المساندة لليهود في فلسطين.. إلا أن الدول الأخرى تخفي وجهها بألوان لا تخفى على المسلمين.

(٢) المرجع السابق .

وقد انبثق عن هذه الحركة « المؤتمر الوطني المسيحي اليهودي » من أجل إيجاد المجالات الدينية والسياسية والعالمية . وقد جندت الحركة كل إمكانياتها البشرية والمادية لخدمة أهداف الصهيونية في توجيه العقل الأمريكي لمساندة ما تدعى به إسرائيل وبكل السبل والوسائل الإعلامية في الداخل والخارج.

وللأسف العميق ، فإن الصهيونية استطاعت أن تطمس على قلوب كثير من النصارى في أمريكا وأعمت بصيرتهم وجعلتهم مطية لخدمة مآربها الخسيسة، فتناسى النصارى أن اليهود ليسوا وحدهم ضحايا الحرب العالمية الثانية في أوروبا، وأن سكان أوروبا من غير اليهود كانوا هم الآخرين ضحايا هذه الحرب، ولكن الإعلام الأمريكي كان يصور أن اليهود هم ضحايا النازية فقط.

وهكذا استطاع الصهاينة استدرار عطف الشعب الأمريكي وعطف العالم عن طريق استخدام النصارى في دعايتهم المضللة. وهذا العطف بالذات كان أهم الأسباب التي ساندت وأيدت الدولة الصهيونية لإنشائها على حساب الأرض الفلسطينية، وعلى جثث المسلمين في فلسطين دون أن يعبأ العالم لهذه الجريمة والعدوان من جانب الصهيونية.

وللأسف إن قلة الدعاية ووسائل الإعلام العربي والإسلامي ظلت عاجزة عن إيصال الحقائق والوقائع للشعب الأمريكي وغيره من الشعوب، وتعريفه بعدالة قضايانا وسماحة ديننا وأحكامه الشرعية القويمة.

أما الكنيسة الكاثوليكية، ومقرها الفاتيكان، فقد بقيت تتعرض للضغوط اليهودية، ولأساليب الإرهاب حتى رضخت أخيراً عام ١٩٦٥م وأصدرت بيانها في تبرئة اليهود من دم المسيح .. وهذه الوثيقة التي أقرها الفاتيكان تطلب من الكاثوليك الاعتراف بالمعنى الديني لدولة إسرائيل بالنسبة إلى اليهود، وأن يفهموا

ويحترموا صلة اليهود بتلك الارض[١]. وأن صلة التبشير والاستعمار واليهودية في فلسطين قضية أخرى نتعرض لها في غير هذا الفصل، والذي يمكن إيجازه في كلمات.. أن الصليبية هي العامل الأول والأخير في إيجاد دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة[٢] ولولا الدعم الدعائي والإعلامي والاقتصادي لهم ما استطاعت أن تستأسد على الشعوب العربية والإسلامية.

(٥) مصادر الدعاية اليهودية ووسائلها: هناك عديد من المؤسسات «الإسرائيلية» المعنية بالدعاية وذلك بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، ومن هذه المؤسسات: وزارة الخارجية، ومكتب الإعلام المركزي، والمكتب الصحفي للحكومة التابعان لمكتب رئيس الوزراء، والمتحدث الرسمي باسم الجيش، وجهاز الإذاعة الإسرائيلية، ومنصب وزير الدولة للإعلام الذي ألغي، ومراكز الإعلام الإسرائيلي في الخارج، والبعثات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية في الخارج، والمنظمات الصهيونية واليهودية في الخارج وجمعيات الصداقة... إلخ[٣].

ولأهمية هذه المصادر والوسائل في الدعاية اليهودية، نعطيها بعض التفصيل لكي يطلع المسلم على منافذ الدعاية اليهودية، إلى العالم كله .. ويحكم خطة إعلامه ودعايته في سد هذه المنافذ.

ومن أهم مصادر الدعاية اليهودية ما يلي[٤]:

---

(١) الدكتور عمر فروخ ومصطفى الخالدي – التبشير والاستعمار (ص ٢٦٦). ونشرت الوثيقة التاريخية أيضاً جريدة « النهار » البيروتية بتاريخ (١٢/ ١٢/ ١٩٦٩) – الصفحة الأولى وكذلك إذاعتها وكالات الأنباء العالمية.

(٢) ارجع إلى المرجع السابق (ص ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥).

(٣) الدكتور محمد علي العويني – الإعلام العربي ص ١٩٧.

(٤) الدكتور محمد علي العويني – الإعلام العربي – ص ٢٠١.

أ- **إدارة الإعلام:** لا توجد في « إسرائيل » وزارة خاصة بالإعلام، ولكن هناك إدارة للإعلام تابعة لوزارة الخارجية، كما يوجد وزير بلا وزارة مسؤول عن الإعلام[١] وتقوم هذه الإدارة بمتابعة الإعلام مختلطاً بالدعاية في الدول ومنها الدول الإفريقية.. ومن أعمال هذه الإدارة:

١- تقوم بدراسات خاصة عن « إسرائيل » تخدم السياسة الإعلامية.

٢- تقوم بتوزيع الكتاب السنوي الذي يعده المكتب الصحفي للحكومة بعنوان « حقائق عن إسرائيل » كما تنشر مجلة ملونة بلغات مختلفة تحت اسم « إسرائيل » وتوزع في إفريقية على الهيئات والمؤسسات والأفراد المدرجة أسماؤهم في قوائم البعثات الإسرائيلية الدبلوماسية.

٣- تشارك في المعارض الفنية والثقافية والتجارية في الخارج.

٤- تقيم الإدارة علاقات وثيقة، مع شبكات التلفزيون الأجنبية وتزودها بالأفلام التسجيلية وغيرها، كما تتصل بمؤسسات السينما في العالم لتمدها بشكل دوري بشريط الأنباء الإسرائيلي.

ب- **مكتب الإعلام المركزي والمكتب الصحفي للحكومة:** ويشكل إدارة واحدة مرتبطة بمكتب رئيس الوزراء .

ويعني مكتب الإعلام بالدرجة الأولى بنشر المعلومات عن نشاط الحكومة ومشكلاتها، ومنجزات « إسرائيل »، وعلى وجه الخصوص كل ما يتصل بالوحدة الثقافية والروحية بين سكان فلسطين المحتلة ولاسيما المهاجرين الجدد.

---

(١) ألغي منصب وزير الدولة للإعلام بسبب الخلافات بينه وبين الأجهزة الأخرى التي تقوم بالعمل الإعلامي ودعوة الأول إلى إنشاء وزارة للإعلام نظراً لأن هذا المنصب بلا وزارة . (ارجع إلى المرجع السابق ص ١٩٧) – وانظر أيضاً تحليل عن إلغاء وزارة الإعلام الإسرائيلية – الإدارة العامة للإعلام – جامعة الدول العربية ٣ آذار ١٩٧٥م.

ويتفرع عن المكتب قسم الأفلام، والذي عمله كما في إدارة الإعلام، وكذلك يتفرع عنه وحدة ماوراء البحار التي تعمل على تقوية العلاقات بين « إسرائيل » والهيئات اليهودية في الخارج عن طريق تنظيم المؤتمرات والندوات والدراسات والرحلات وإرسال المحاضرين والأفلام إلى الخارج.

أما المكتب الصحفي للحكومة فهو المعبر عن الحكومة للصحافة المحلية والأجنبية ويعني بتزويد المراسلين بأنباء الأحداث الجارية، كما ينظم المؤتمرات والمقابلات الصحفية للمسؤولين اليهود.

وهناك علاقة وثيقة بين المكتب الصحفي ومكتب الإعلام المركزي وبين إدارة الإعلام بوزارة الخارجية من حيث الاستفادة المتبادلة[١].

ج- هيئة الإذاعة « الإسرائيلية»: هي هيئة عامة وتتبع رئيس الوزراء الإسرائيلي .. وتذيع بما يقدر ٣٥٠ ساعة أسبوعياً بـ ١١ لغة، وهناك إذاعات خاصة يومية بالعبرية الميسرة والفرنسية والإنجليزية والرومانية والعربية. وهناك برامج موجهة لما وراء البحار بعشر لغات بما فيها الروسية، وبرنامج أسبوعي موجه إلى شمال أمريكا ويعدّ بالاشتراك مع الوكالة اليهودية، بالإضافة إلى إذاعة بعض شعائر إسلامية ومسيحية[٢].

وهناك محطة تسمى « صوت صهيون إلى يهود المنفى» وتذيع بلغات متعددة ومنها الدروس الملقاة بالعبرية والأخبار بالعربية الميسرة ، وتعمل هذه الإذاعة على ممارسة أهدافها من خلال العمل الإذاعي بأشكاله المختلفة.

---

(١) د. منذر عنبتاوي – أضواء على الإعلام الإسرائيلي – بيروت – مركز الأبحاث الفلسطينية حزيران ١٩٦٨م ص (١٤٦، ١٤٨).

(٢) د. محمد علي العويني – الإعلام العربي ص ٥٠٣.

وأما خارج ما يسمى بدولة « إسرائيل » فإن أهم نشاط دعائي تقوم به اليهودية هو في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تفرض الصهيونية سيطرتها على وسائل الإعلام الأمريكي؛ من محطات إذاعية؛ ودور للصحف، وحتى الكتب المدرسية والكنائس، وسخرت كثير من رجال الدين النصراني في تنفيذ مآربها، والحقيقة أن المحاولات الصهيونية للسيطرة على توجيه الإعلام الأمريكي لم تكن مجرد ظاهرة عفوية أو طبيعية، وإنما كانت مبنية على خطة مدروسة بغاية من الدهاء والمكر، إذ أدركت أن أفضل طريقة لنشر دعايتها الباطلة هي السيطرة على وسائل الإعلام ودور الصحف والنشر والطبع، ووجدت في هذه الوسائل أفضل السبل للنفوذ إلى عقول الأمريكيين وغسل أدمغتهم، ومن ثم يتهيأ للصهاينة توجيه الشؤون السياسية لخدمة مصالحهم وأهدافهم الرئيسة، وهي ضمان مساعدة الولايات المتحدة ومساندتها «لإسرائيل» سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وهكذا تنتهج وسائط الإعلام الأمريكي حملة دعائية واسعة بتوجيه الصهيونية لإثارة الشعب الأمريكي ضد العرب والمسلمين وقضاياهم، وخاصة القضية الفلسطينية عن طريق سيطرتها على وسائل الإعلام وغيرها من الوسائل، كما تبينها الحقائق الآتية[1]:

١- محطات الإذاعة (المرئية والمسموعة): وتسيطر الصهيونية على أكبر وأشهر ثلاث محطات إذاعية رئيسة في أمريكا والمعروفة باسم محطة (سي . بي . اس) ومحطة (إن . بي . سي) ومحطة (أي . بي . سي) وهذه المحطات لها شبكات تغطي القارة الأمريكية (الولايات المتحدة وكندا) ولها مراسلون في جميع أنحاء العالم بما فيه العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى مراسليها في القارة الأمريكية نفسها.

---

(١) من البحث الذي قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكرتا بعنوان « الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها» من قبل – (أحمد سعد – نيويورك – الولايات المتحدة) ونشرته مجلة « الإرشاد » اليمنية في العددين الثاني والثالث (١٤٠١هـ).

ولتقدير مدى سيطرة الصهيونية على هذه المحطات الثلاثة نجد أن إدارتها تخضع لعناصر يهودية مباشرة.

فمحطة (سي . بي . إس) تحت إدارة اليهودي « وليام بالي » ومحطة (إي . بي . سي) يديرها يهودي اسمه « ليونارد جونسون» وأما محطة « إن . بي . سي » يقوم على إدارتها اليهودي « الفرد سلفرمان » كما أن للصهيونية سيطرة على أكثر من (٢٠٠) محطة إذاعية أخرى محلية في الخمسين ولاية الأمريكية.

٢- دور الصحف (الجرائد والمجلات) الأمريكية: والصهيونية تسيطر على أكبر وأشهر الصحف الأمريكية وهما: نيويورك تايمز، واشنطن بوست، الديلي نيوز، ونيويورك بوست، كما يسيطر الصهاينة على أشهر مجلتين أسبوعيتين وهما مجلتا: الأيم ونيوزويك. بالإضافة إلى أن هناك نفوذاً يهودياً على أكثر من (١٠٠٠) ألف صحيفة ومجلة في جميع الولايات المتحدة، وإن معظم المعلقين والكتاب والمحررين والمراسلين إما عناصر يهودية وإما أمريكية من ذوي الأقلام المأجورة في خدمة الصهيونية. وقد جندت الصهيونية أكثر من ألف صحافي ومراسل أمريكيين لخدمة أهدافها إما لأنهم يهود أو من ذوي الأقلام المأجورة، كما لها آلاف المراسلين في جميع أنحاء العالم.

٣- الكتب المدرسية: وقد أدت الصهيونية عن طريق استخدام المؤلفين ودور الطباعة والنشر الأمريكية دوراً كبيراً في حشو الكتب المقررة للتدريس في مدارس أمريكا الابتدائية والثانوية بمعلومات خاطئة مسممة لأفكار الشعب والطلاب الأمريكيين تحمل الضغينة والحقد والطعن في الإسلام ومبادئه السمحة وعن شخصية الرسول ﷺ . وخاصة كتب التاريخ والجغرافية ففيها تشويه كبير ضد تاريخ العرب والمسلمين وجغرافية العالم العربي الطبيعية، حيث تُظهر أن إسرائيل

صاحبة الحق في فلسطين التي يطلقون عليها في هذه الكتب المدرسية زوراً اسم « أرض الميعاد ».

٤- الكنائس ورجال الدين « النصراني »: وقد مر ذكر كيف استخدمت الصهيونية الكنائس ورجال الدين لخدمة أهدافها وتشويه العالم الإسلامي، والعقيدة الإسلامية.

٥- السينما: سيطرت الصهيونية أيضاً على « ستديوهات هوليود » الكبرى . وأنتجت مئات الأفلام التي تعرض اليهود بصور جميلة أخاذة، وهي تمتلئ في الوقت نفسه بالمواد الدسمة التي تناسب المخططات اليهودية والدعاية لليهود « إسرائيل » فشبكات الرائي (التلفاز) تعرض بين فترة وأخرى أفلاماً مثل (المجزرة) و(الخروج) و(الوصايا العشر) و(برج بابل) و(داود وجوليات) و(شمشون ودليلة) وكلها أفلام قد صُنعت خصيصاً للدعاية لليهود وما تدَّعي « إسرائيل » وعندما حصل الخلاف بين اليهود والرئيس كارتر على إثر توقيعة للبيان الأمريكي السوفياتي، بدأت شبكات التلفزيون الأمريكية تكرر عرض فيلمي (اغتيال روزفلت) و(اغتيال كندي) وكأن اليهود يقولون لكارتر بأن هذا هو مصير كل رئيس أمريكي لا يتبنى الأهداف اليهودية..

بالإضافة إلى تركيز اليهودية على الأفلام الجنسية والبوليسية مثلاً لتهدم الأخلاق والنظام الأسري، كما أنها زَيَّفت الأفلام التاريخية بحيث تعظم التاريخ العبري وتحط من قدر تاريخ الأمم الأخرى[1].

كما أنهم يركزون بمختلف وسائل الإعلام على عظمة اليهودي كفرد واليهود كشعب مختار فلا يُفوّتون فرصةً دون تعداد اختراعاتهم واكتشافاتهم وأثرهم في

---

(١) مجلة الأمان – العدد ٧٨ – ٢٠ رمضان ١٤٠٠هـ (هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي).

التاريخ العالمي، فينسبون لأنفسهم أنهم أول من اكتشف أمريكا، وأنهم أول من اكتشف الأدوية الحديثة للعلاج وطورها، وأن كلمة (فيتامين) وضعها يهودي اسمه (اسميرفانك) وأن لقاح الجدري طوره اليهودي (جونس سالك) ... إلخ هذا غيض من فيض، من الدعاية اليهودية في بلد واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا التغلغل اليهودي في وسائل الإعلام الأمريكية حمل وكالة (نوفوستي) الرسمية الروسية إلى القول : « الصهاينة يسيطرون على سبعين بالمئة من النشرات الدورية في أمريكا، كما يسيطرون على ثمانين بالمئة من محطات التلفزيون الأمريكية» (١٧/ ٦/ ١٩٨٠)[1].

ولم يكتف اليهود باستغلال وسائلهم الإعلامية الخاصة للدعاية لأهدافهم وتنفيذ مخططاتهم، ولكنهم حاولوا منذ القديم استغلال وسائل الدعاية الوطنية والنصرانية في أمريكا، فنجد المدرسين والمحاضرين اليهود ينتشرون في معظم المدارس والجامعات الأمريكية، ومهمتهم الأساسية الدعاية لليهود، كما يندس اليهود بشكل منظم في كل ناد أو تجمع حزبي أو نقابي لكي يستغلوا وسائله الإعلامية للدعاية لقضاياهم..

وهكذا استطاعت اليهودية بوسائل إعلامها المنتشرة في أمريكا بشكل خاص والدول الغربية بشكل عام، أن تضلل الشعوب الغربية، حتى أصبحت لا تستطيع أن تحدد علاقاتها مع غيرها من الأمم إلا بالشكل والكيف الذي يريده اليهود، وحتى أصبحت لا تعرف الكثير عن أوضاعها إلا بما تُعَرِّفها به وسائل الإعلام اليهودية، وحتى أصبحت وسائل الإعلام هذه سيفاً مُسلَّطاً على عقول الغربيين ورقابهم، فلا يستطيع حر أن يعلن رأيه بصراحة أو أن يقول كلمة حق دفاعاً عن

(١) مجلة الأمان – العدد ٢٠٧٨ رمضان ١٤٠٠هـ (هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي).

وطنه وأمته إلا تَعَرَّض لحطة شرسة تشنها عليه أجهزة الإعلام اليهودية باسم معاداته للسامية وكراهيته لليهود[1]، حتى أيقن الكثيرون أن حرية الرأي في العالم – الحر – قد ذبحها اليهود على مذبح أطماعهم وأهدافهم بسبب ما فرضوه من إرهاب فكري على شعوب الدول الغربية وحكوماتها بشكل عام وأمريكا بشكل خاص[2].

---

(١) المثال على ذلك الحملة التي تعرض لها «سبيرواغينو» نائب الرئيس الأمريكي في عهد كارتر عندما صرح لصحيفة (واشنطن ستار) : « بأن نصف عدد الذين يملكون أو يديرون وسائل الإعلام الوطنية الأمريكية هم من اليهود، وأنهم مع غيرهم من اليهود المتنفذين خلقوا سياسة توصف بأنها كارثة فيما يخص شؤون الشرق الأوسط «وقد سبق (لأغنيو) أن وقف عام ١٩٦٩م في مدينة (دي موينز) وشد هجوماً عنيفاً على شبكات التلفزيون وعلى بعض المعلقين السياسيين متهماً إياهم بإدارة الأخبار والأفكار على نحو عنصري وبالعمل على إخفاء الحقيقة عن الجمهور.. وكان رئيس الجمعية الأمريكية لرؤساء وتحرير المصحف آنذاك (نورمان إيزاكس) وهو يهودي – فهاجم تصريحات (اغنيو) واتهمه بالعداء للسامية.. (انظر مجلة الأمان – العد ٧٨- ٢٠٠ رمضان ١٤٠٠هـ).

(٢) مجلة الأمان – مقال: هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي – العدد ٧٨ رمضان ١٤٠٠هـ – بقلم نبيه عبد ربه.

ثانياً: الدعاية الشيوعية: كانت الدعاية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي، قبل تفككه والقضاء على الحكم الشيوعي، تعتبر من وظائف الدولة المهمة.. لأنها الأداة التي يذعن بواسطتها الجمهور لسلطة الدولة المتسلطة على الأفراد، بل على عقولهم أيضاً، لهذا كان مفهوم الدعاية في هذه البلاد يتماشى مع مفهوم التربية والتعليم. ومهمتهما واحدة، إذ بواسطتها تغرس التعاليم الشيوعية في القلوب والعقول منذ الصغر، وعليها يتربى الكبار، ومنها ينطلقون في فكرهم وأدبهم وفنهم.. ومن خلال هذا البحث سيتوضح لنا، بإذن الله تعالى، الدور الخطير لهذه الدعاية وما قامت به من زرع للمبادئ الإلحادية وخاصة في البلاد الإسلامية التي اغتصبتها واعتبرتها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية.. بالإضافة إلى البلاد الإسلامية التي اغتصبت في عهد القياصرة .. وكذلك الدعاية الموجهة إلى الخارج .. إلى البلاد الإسلامية وغيرها وما تنطوي عليه من خداع وتضليل وكذب، لاستمالة القلوب الخاوية من الإيمان، والعقول المنحرفة، لإسقاطها في مهاوي الهلاك، لتصبح لقمة سائغة للروس وأحلامهم القيصرية القديمة.

(١) نشأة الدعاية الشيوعية: أوجد لينين[١] الأساس النظري للدعاية الشيوعية قبل قيام الثورة في روسيا عام ١٩١٧م بعشرين عاماً، إذ إنه « طالب رجال الدعاية بالتسلح النظري الجيد وبالمعرفة العميقة لتلك المادة التي كانوا يتوجهون بها إلى المستمعين، ولم يقتصر على ذلك، بل طالبهم أيضاً أن يدرسوا وباهتمام كبير المستمعين أنفسهم، وأن يعرفوا مستوى تطورهم واتجاهات اهتماماتهم وحاجاتهم ومطالبهم المحددة، وفي الوقت نفسه يجب على رجال الدعاية أن يهتموا بعرض المادة

---

(١) لينين هو: فلاديمير إيليش أوليانوف (١٨٧٠- ١٩٢٤م) قاد الثورة الشيوعية في روسيا عام ١٩١٧م)).

بصورة مبسطة خالية من التعقيد دون اللجوء إلى الابتذال، بل أن يطمحوا إلى رفع مستوى وعي مستمعيهم»[١].

وهكذا عَرَف « لينين » كيف يلعب بالشعب الروسي، ويستغل جميع الظروف لمصلحته ، وقد ساعده في دعايته الفقر الشديد والبؤس الذي كان مخيماً على الشعب، كما أنه استفاد من بساطة الناس وجهلهم وغفلتهم، ومما ساعده على نجاح دعايته هو أنه لم يصطدم بعقيدة قوية كانت تتحكم في عقلية الرجل الروسي وتقف حاجزاً دون النظرية الجديدة، لأن جميع العقائد قد تزلزلت وانهارت.

وكانت دعاية « لينين » وقوداً للغرائز الجامحة إذ استغلها أيما استغلا، وخاصة إذا عرفنا أن الشعب الروسي قد مل القتال في نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان تواقاً لإنهاء حالة الحرب والتخلص من أوضاعه الاقتصادية، وكانت كلمة « سلم » أو « أرض » محببتين إلى نفسه، فأثار بها الملايين من الرجال، وقد وجد الشعب في قادة الثورة منفذين له، فتبعهم متنازلاً بسهولة عن حريته الشخصية[٢].

وبعد الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م وضعت جميع وسائل الإعلام تحت سيطرة الدولة، واحتكرتها، فكانت أول وسيلة إعلام أممتها الدولة هي الصحافة، وأعدمت جميع الصحف المعارضة، ووضعت لذلك نصاً دستورياً هو المادة ١٤ من دستور ١٠ تموز (يوليو) ١٩١٨م وترجمة النص ما يلي: « لضمان حرية التعبير عن الرأي، ألغت الجمهورية الفيدرالية السوفيتية تبعية الصحافة لرأس المال. ووضعت تحت تصرف الفلاحين والعمال الوطنين جميع الوسائل الفنية والمادية اللازمة لتحرير

(١) « علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية » ف. كولبانوفسكي . ص ٩ (ترجمة نزار عيون السود).

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام . د. مصطفى الحضاري ص ١٧٢.

الصحف والنشرات والكتب وسائر المطبوعات الأخرى وضمان ذيوعها في سائر أنحاء البلاد»[(١)].

(٢) **أسلوب الدعاية الشيوعية:** وضع لينين أسلوباً علمياً – بزعمه – للدعاية الشيوعية، يصل في نهايته إلى غايته الأولى والتي هي نشر الشيوعية بين الناس. وكان من الأساليب الأولى في هذا المجال استخدام الإضرابات في التحريض والدعاية للشيوعية، فبوساطة الإضراب يتعرف الناس على مبادئ الشيوعية. ومن المعروف أن الإضرابات يتخللها هتافات، ورفع شعارات معينة، وخطب جماهيرية،... وقد قال لينين بهذا الخصوص: « لقد طورت الثورة الروسية ولأول مرة، وبمقاييس واسعة، هذه الطريقة البروليتارية[(٢)] في التحريض والدعاية وتحريك الجماهير ورص صفوفها وجذبها إلى النضال ، وتستخدم البروليتاريا الآن هذه الطريقة من جديد وبيد أكثر صلابة»[(٣)].

ويبين أحد علماء النفس الماركسيين دور الإضراب في الدعاية الشيوعية بقوله: « وهكذا استخدم الإضراب كطريقة في التحريض والدعاية، إن قوة الدعاية البلشفية لم تكن في الكلمة المطبوعة والمقروءة المصادقة فحسب، بل وفي نشاط الجماهير المنظم»[(٤)].

والإضراب يبدأ بالإثارة والتهييج، ولهذا وضع لينين القاعدة التي تقول: « إن العامل الأساسي للدعاية هو الإثارة والتهييج بين طبقات الشعب»[(٥)].

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٦.

(٢) البروليتاريا : طبقة العمال أو طبقة الصعاليك في التصور الشيوعي.

(٣) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ، ص ١١ و ١٢ (نقلاً عن المؤلفات الكاملة لينين ج ٢١ ص ٣٤٢)..

(٤) المرجع السابق ص ١١ و ١٢.

(٥) الإعلام والدعاية – عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٢.

وابتدع نظاماً للدعاية يقوم على طوائف ثلاث وهي: طائفة المنظمين، وطائفة الدعاة، وطائفة مثيري القلاقل.

فالمنظم : يتولى تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية وتنظيم الدعاية فيهما. ومثير القلاقل: أو المحرض – هو الشخص الذي عنده فكرة واحدة، أو عدد يسير من الأفكار يرددها أمام عدد قليل من الناس لكي يثيرهم شيئاً فشيئاً. والداعي: يتلقى الموضوع الذي تُراد الدعاية له، ويضيف إليه كثيراً من عنده ويذيعه على أكبر عدد من الناس، وهو في ذلك يخالف المحرض أو مثير القلاقل، في أن المحرض يأخذ فكرة معينة وينقلها إلى شخص معين أو قليل من الأشخاص بقصد الإثارة، كما يفعل مثلاً حلاق القرية أو الحي أو بقال الشارع أو الكواء، أو كما يحدث من طالب واحد أو عدد قليل من الطلبة يهتفون بهتاف معين يقصد به إثارة الباقين من الطلاب[١].

وهكذا يتبين لنا من خلال أسلوب الدعاية الشيوعية، أن العقيدة الشيوعية لا تقوم في دعوتها على الإقناع العقلي الموضوعي، وإنما تقوم على التهييج الانفعالي، أو الإثارة العاطفية، والتي يُستغل فيها جهل الناس بالشيوعية وما تتضمنه مبادئها من قضاء على حرية الإنسان وكرامته وفطرته، وقضاء على كل العلاقات الإنسانية من أسرة وعواطف وأخلاق والتي تعتبرها من رواسب « البروجوازية»[٢].

والدعاية الشيوعية تُردد هذا دون حياء بعد أن تلبسها أثواباً براقة، مذكية لهيب الأنانية في طبقات العمال والفلاحين، فَتَعِد العمال بدكتاتورية البروليتاريا[٣] وتعد الفلاحين بالأرض.. واستخلص لينين من الماركسية نظاماً خيالياً للمجتمع الجديد

---

(١) الإعلام والدعاية – د. عبد اللطيف حمزة – ص ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٢) البرجوازية: طبقة التجار وكبار الموظفين في المجتمع أو الطبقة الوسطى في المجتمع.

(٣) دكتاتورية البروليتاريا: دكتاتورية طبقة العمال.

الذي تتلاشى فيه الطبقات.. ونادت الشيوعية بالتخلص من الأديان، وعبادة المادة والفن بدلاً من عبادة الرحمن، بل جعلوا من لينين معبوداً في الدولة الشيوعية[1].

ولقد طور دعاة الشيوعية، بعد ذلك، السياسة الدعائية ونموها، وأصبح لها سمات خاصة، تعرف بها، في كل المجتمعات، ويتوارثها الشيوعيون، في كل الدول والأمم.. وأهم هذه السمات:

١- التكرار الدؤوب لشعارات الشيوعية، تكراراً يستهدف تكريس هذه الشعارات في الأذهان عن طريق كثرة التكرار والإلحاح والإعادة.. ويتضح هذا من طوفان المطبوعات الشيوعية في جل لغات العالم، والتي تُطبع بعشرات الملايين من النسخ، تحمل الأفكار نفسها وذات العبارات تحت عناوين متغيرة..

فكتابات لينين وخطبه طبعت في كل لغات العالم، ونشرت فيها مئات الطبعات ووزعت منها عشرات الملايين من النسخ.. بأسعار رمزية لا تصل إلى عشر ثمن تكلفتها من ورق ومداد فقط.

وهذا مثال واحد عن السمة الأولى من سمات الشيوعية، وهي سمة الإكثار على الآذان، ليل نهار، وبكل اللغات، وأقل الأسعار بشعارات ومفاهيم الشيوعية، وعبارات لابد وأن تُرَدَّد من قبل البعض، بالمنطق الببغائي من كثرة التكرار الذي لا يكل ولا يمل[2].

٢- كذلك تتسم الدعاية الشيوعية باستعمال أكبر قدر من البيانات والأرقام غير الصحيحة سواء عن نفسها أو عن خصومها.

---

(١) يراجع بتوسع «الدعاية والاستعلام» د. مصطفى الحفناوي - القاهرة ص ١٧٢.

(٢) الشيوعية والأديان - د. طارق حجي - مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية - ط ٣ ١٤٠٠ - ١٩٨٠ ص ٨١ - ٨٢.

ولا تتورع الشيوعية عن استعمال أي بيانات أو أرقام بغض النظر عن نصيبها من الصحة، بهدف ترجيح المفاهيم الشيوعية وتزيين الواقع في البلدان التي تطبق المذاهب الماركسي.

ويكفي أن نطالع أعداد مجلة واحدة من المجلات الشيوعية والتي توزعها حكومة موسكو في معظم أرجاء العالم، مثل مجلة « الاتحاد السوفيتي» لنرى كيف يتم حشو صفحات المجلة بطوفان من الأرقام عن الحياة في « الاتحاد السوفيتي » وكيف أن الحكومة « السوفيتية » التي تسير على النهج الماركسي - توفر لشعوب البلدان « السوفيتية » أعلى مستوى غذائي وكسائي في العالم، وكيف ينعم فيها بأحسن رعاية صحية وتأمينات اجتماعية، وكيف يشب الأطفال في أحسن وأرقى ظروف معيشية، وكيف يتمتع المواطن عندهم بأعلى درجات الراحة والاستقرار والهناء في العالم المعاصر، وكيف تخلو حياته من الصراع والظلم والاستغلال!!.

وبالقدر نفسه من البيانات تحاول أن توضح أن البشر في المجتمعات غير الشيوعية، وخاصة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية المتقدمة، إنما يعيشون في جحيم لا يطاق وأنهم يعانون في كل أمر وفي كل مجال من مجالات الحياة..

٣- والدعاية الشيوعية على استعداد لاستعمال أي وسيلة تزين الشيوعية فكراً أو تطبيقاً، كما أنها على استعداد - في الوقت نفسه - لاستعمال أي وسيلة لتحقير النظم غير الشيوعية، والهجوم على أشخاص المعارضين للشيوعية من أبرز وسائل الدعاية الشيوعية، فالشيوعية لا تلجأ فقط للهجوم على التيارات الأخرى وإنما تعمد في الوقت نفسه لتشويه صورة أقطاب هذه التيارات تشويها كاملاً بتصويرهم كمجموعة من فاسدي الذمم أصحاب الأخلاق المعوجة والنيات السيئة[1].

---

(١) ارجع إلى المرجع السابق ص ٨٤.

« وقد لاحظ فريق كبير من المختصين في دراسة الشيوعية هذه الملاحظة عليها ومنهم الكاتب الإنجليزي «كاريوهنت» الذي قال في مقدمة كتابه (النظرية والتطبيق في الشيوعية): إنه بسبب الدعاية الشيوعية المتدفقة كالسيل، والتي هي أقوى أسلحة الشيوعية، لا يكاد الباحث يعرف من أين يبدأ، وبالرد على أن المزاعم يستهل تفنيده لطوفان الدعاية الشيوعية، فالدعاية الشيوعية تعمل بكل السبل الشريفة وغير الشريفة، في كل مجال، وتقول كل شيء وأي شيء يخدم الدعوة للشيوعية أو الشيوعيين، وفي كل موضوع، بحيث يجد الباحث نفسه في مواجهة خِضَم من الأقاويل والمزاعم والبيانات، وفي مواجهة سيل جارف من الدعاية يحتاج لمراكز متخصصة في البحث، لإثبات أن السواد الأعظم من هذه الأقاويل والبيانات والدعايات هو نسيج خالص من التلفيق والكذب وابتداع ما ليس بحقيقي ولا بصدق في شيء، حتى لو أوجدت كل دولة جهازاً للبحث ينهض بهذا العبء، فإن ما سيخرجه من دراسات مُمَحَّصة لبيانات الدعاية الشيوعية لن يُقرأ من طرف الذين وجهت إليهم تلك الدعاية، لأن أولئك يندر بينهم من يقرأ شيئاً يمت بصلة للبحث العلمي العميق، فعقولهم – بالكاد – تتناسب مع تلك الكتيبات المبسطة المخلة بالمنطق والواقع في آن واحد..»[1].

وجدير بالذكر، أن الدعاية الشيوعية إنما توجه أساساً للأجيال الناشئة من الشباب، وخاصة للطلاب منهم – وأجهزة الدعاية الشيوعية تعلم جيداً أنها تتعامل مع أشخاص يافعين تغلب عليهم العواطف المتأججة بحكم تكوينهم النفسي والعضوي غير المستقر، لذا فإنها تجيد معهم الإثارة إلى أبعد حد، مستغلة عدم قدرتهم على تمحيص كل قطرة من قطرات هذا الطوفان السيال من البيانات والأرقام غير السليمة وغير الصادقة في آن واحد.

---

(١) المرجع السابق ص ٨٤ – ٨٥.

(٣) **وسائل الدعاية الشيوعية:** تستخدم الشيوعية في دعاياتها جميع وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية وسينما وحتى جهاز التربية والتعليم لم يسلم منها وأصبح جهاز دعاية .. وسنوجز الكلام عن كل وسيلة من هذه الوسائل حتى تكتمل رؤيتنا للدعاية الشيوعية.

١- الصحافة: قلنا آنفاً أن الشيوعية بعد الثورة في عام ١٩١٧م ألغت جميع الصحف إلا الصحف الناطقة باسمها بحجة أنها أُفسدت من قبل « البرجوازية » ولم يسمح بعد ذلك لأي إنسان أن يَخُط أي كلمة بحرية، « وأن من يحاول زعزعة هذا النظام – أي النظام الشيوعي – يعد عدوا للشعب ولن يسمح له بأن يتناول ورقة، ولن تطأ قدمه عتبة المطابع التي ينشر فيها سمومه، ولن يجد قاعة واحدة أو ركناً في قاعة ليرفع صوته» على حد تعبير صحيفة البرافدا[١].

وأعطت الشيوعية أهمية خاصة للصحافة، وجعلتها ركناً مهماً في بناء الدولة ولهذا الأمر تعددت الصحف وتنوعت في شكلها ولغاتها وموضوعاتها في المدن والأقاليم القريبة والبعيدة، ولكنها جميعاً بقيت أدوات دعاية تتسم بمضمون واحد هو الفكر الماركسي الملحد.

أما عن نظام الصحافة، فإن صحف موسكو الثلاث الكبرى[٢] هي التي تقوم بدور الإلحاد والتوجيه للصحافة الإقليمية التي تطيعها طاعة عمياء، والتي تصدر كل واحدة بلغة الإقليم الصادرة فيه[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ١٨٧ (نقلاً عن البراقدا ٢٢ حزيران (يونيو) ١٩٣٦م).

(٢) وهذه الصحف هي:

١- البرافدا (أو الحقيقة) : لسان حال اللجنة الركزية للحزب الشيوعية وتوزع ٩ ملايين نسخة يومياً. ٢- الأزفستيا (أو الأخبار) ، لسان حال الحكومة وتوزع ٨,٥ مليون نسخة يومياً.

٢- عصبة الشباب الشيوعي وتوزع ٧,٥ مليون نسخة يومياً. (ارجع إلى كتاب النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية – د. جيهان رشتي ص ١٠).

(٣) في عام ١٩٧٦ أصبحت الصحف تظهر بـ ٥٨ لغة مستخدمة داخل ما يسمى بالاتحاد السوفيتي و٢٣ لغة أجنبية. (ارجع إلى كتاب : النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية – جهان

وحتى نأخذ صورة صحيحة لأهمية الصحافة في الدعاية الشيوعية، نطلع على آخر الإحصائيات للصحافة في الإمبراطورية الروسية ومستعمراتها:

- في عام ١٩٧٤م كان يوجد ٦٣٩ جريدة يومية و٨٠٥٥ جريدة غير يومية يبلغ إجمالي توزيع الصحف اليومية (٨١,٦٣٣,٠٠٠) نسخة والصحف غير اليومية (٥٩,٠٨٣,٠٠٠) نسخة.

- وفي سنة ١٩٧٦ م كان يوجد (٢٨) جريدة مركزية و (١٦٠) جريدة في الجمهوريات و(٢٩٣) جريدة إقليمية و(٩٦) جريدة في المناطق و(٦١٦) جريدة في المدن وأكثر من ستة آلاف جريدة في المصانع والأحياء.

- وفي سنة ١٩٧٠ م كانت تظهر في ما يسمى بالاتحاد السوفيتي:

- ٤٩١٣ دورية باللغة الروسية.

- و٩١٥ دورية باللغات الأخرى المستخدمة داخل البلاد .

- و ١٤١ دورية تظهر بـ ٢٣ لغة أجنبية[١].

مع العلم أن ما ينشر في هذه الصحف تحتكره وكالة « تاس » للأنباء، ومحرم على أي صحيفة أن تنشر خبراً محلياً إلا إذا استقته من المصادر الرسمية.

٢- الإذاعة: إن الاهتمام بالإذاعة المسموعة بصفتها وسيلة من وسائل الدعاية الشيوعية كان في بداية الثورة في روسيا، وقد استغلت إلى أبعد حد، وعلى أوسع نطاق ويشرف عليها لجنة خاصة تتمتع بسلطات كبيرة، وتعمل بإرشاد الحزب الشيوعي وتعاون هذه اللجنة/ ١٣٠ مائة وثلاثون لجنة إقليمية، ولدى روسيا في

---

(١) المرجع السابق ص ١٠.

عام ١٩٧٤ (٣٠٣٤) محطة إرسال، تستقبل من قبل (١١٠,٣٠٠,٠٠٠) جهاز استقبال عند الجمهور[١].

وحتى تملأ الإذاعة آذان الفرد الروسي والمجتمعات التي تقع تحت سيطرة حكومة موسكو وضع الشيوعيون نظاماً يمكن للجميع الاستماع إلى الإذاعة وذلك بتزويد المصانع بالأجهزة ومكبرات الصوت الموضوعة في كل زاوية في المدن والريف. وبرامج الإذاعة هي الأخبار الرسمية، والخطب والتعليقات السياسية، والمحاضرات والأوامر الشيوعية، ويذاع هذا كله بسبعين لغة..

أما الأنباء الخارجية فإنها لا تذاع إلا بما يخدم الفكر الشيوعي[٢].

وقد بنى الشيوعيون في روسيا الدعاية الإذاعية على أسس علمية مدروسة. وهذه الأسس تنطلق من علم النفس الاجتماعي ودراسته للسلوك الفردي والجماعي وكيفية التأثير فيه.. وقد بين أحد علماء النفس الشيوعيين[٣] مدى أهمية الإذاعة في الدعاية للشيوعية في مقال مطول بعنوان: «التأثير النفسي والاجتماعي للدعاية الإذاعية» مصنفاً التأثير العميق للبث الإذاعي في المجالات الآتية:

- في مجال السلوك الفردي والجمعي.
- في مجال الآراء والتصرفات.
- في مجال التعليم والمعرفة.
- في مجال العواطف والانفعالات[٤].

---

(١) بالإضافة إلى محطات الإرسال السلكية أو (راديو أو زيل) ووظيفتها نقل ما تتلقاه من المحطات المركزية والإقليمية إلى مكبرات الصوت في المنازل أو أماكن التجمع كالمصانع والمزارع وغيرها، ومن ميزة أجهزة الاستقبال لهذه المحطات أنها غير قادرة على استقبال الإذاعات الأجنبية .. (النظم الإذاعية ص ١٠٣).

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام (ص ١٣).

(٣) وهوب غورفيتش، المقال في كتاب: علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص ١٣٤.

(٤) المصدر السابق ص ١٣٧.

ولا بأس من عرض بعض الفقرات من هذا المقال لمعرفة مدى اهتمام الروس بالإذاعة والدعاية بواسطتها، فهي تستخدم أولاً لبناء الاشتراكية في الداخل: « إننا نستخدمها – أي الإذاعة – من أجل نشر ثقافتنا الاشتراكية في أوساط الجماهير الواسعة، وهذا مثال نموذجي على استخدام منجزات التقنية من أجل أهداف بناء الاشتراكية»[١].

وهي تستخدم ثانياً للدعاية للشيوعية وتحريض الشعوب الأخرى على الثورة ضد حكوماتها وارتباطها بالشيوعية الدولية: « ومن أمثلة تأثير البرامج الإذاعية على السلوك الجماهيري في المجال السياسي يمكننا ذكر البرامج الإذاعية السوفيتية عن الصراع الطبقي في القرية والتحقيقات الإذاعية المنقولة من الساحة الحمراء[٢] والبرامج السياسية والاجتماعية المكرسة لثورة أكتوبر، ومشاركة البث الإذاعي في نشر حركة أنصار السلام وكذلك البرامج المخصصة لتأييد الشعوب التي تناضل في سبيل استقلالها وحريتها»[٣].

٣- الإذاعة المرئية (التلفزيون) و(السينما): وهي الوسيلة الثالثة من وسائل الدعاية في النظام الشيوعي، وهي الثالثة أيضاً من حيث التقويم النوعي والاستخدام الفعلي[٤]، إلا أن « التلفزيون يحتل المركز الأول في مجال الدعاية للثقافة» أي الدعاية للعقيدة الشيوعية، وإن كانت هذه الدعاية وبهذه الواسطة – محدودة حالياً بحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن لهذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته،

---

(١) المصدر السابق ص ١٤١.

(٢) «الساحة الحمراء» ميدان في موسكو العاصمة.

(٣) المرجع السابق ص ١٤٦.

(٤) بدأ الإرسال المنتظم في موسكو عام ١٩٤٨م، وحالياً (وقت نشر الكتاب) يوجد (١٣٢) استديو تلفزيوني – وعدد أجهزة الإرسال (١٦٢٠) جهازاً حتى عام ١٩٧٣م ، وعدد =

محدودة حالياً بحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن لهذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته، لم تبق محصورة داخل الستار الحديدي، وأن وسائط الاتصال الأخرى أخذت تتخطى الحدود والقارات، لتصل إليه.. مثل الإذاعة.

وأن الرائي (التلفزيون) وسيلة اتصال مهمة، بل له أهمية خاصة إذا قورن مع وسائل الاتصال الأخرى « وترتبط هذه الأهمية بـ (طبيعة) الاتصال التلفزيوني و« بثه المباشر » وصورته حيث يتم الاتصال المباشر بين المشاهد والحدث . وهذا عامل نفسي مهم، حيث ينشأ لدى المشاهد انطباع، بأنه يشارك مباشرة في الحدث ويمكنه تقويم أهميته دون تعليقات خارجية من المذيع»[(١)].

ولهذه الأهمية للرائي استخدم أكثر من أي وسيلة أخرى، في نشر الأفكار الشيوعية، وأن برامج الرائي كلها من أخبار وتمثيليات وأفلام سينمائية صيغت بحيث تخدم الفكر الشيوعية..

والأخبار خاصة تعرض بطريقة دعائية بحيث تظهر التأييد للزعماء الشيوعيين، مثل التصفيق لهم في المحافل الدولية، وتهمل كل إشارة معادية لهم، إلا إذا جاءت من دولة غربية، فَيُعَدُّ هذا دليل على المؤامرات التي يحيكها الرأسماليون لهم « وهم يظهرون الغرب بأقبح صورة في حين يعنون بإبراز الدولة الشيوعية في أبهى صورة وأقشب حلية[(٢)].

= أجهزة الاستقبال ٤٩,٢٠٠,٠٠٠ جهازاً في العام نفسه، وقد استخدمت الأقمار الصناعية في نقل برامج التلفزيوني، ويجد حوالي (٣٠) محطة أرضية وقد بدأت العمل عام ١٩٧٤م.
(ارجع إلى كتاب، النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية ص ٨٨ و ٩٢و ١١٣).

(١) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص ١٧٢.

(٢) الإعلام الإذاعي والتلفزيوني – د. إبراهيم إمام ص ١١٩ – دار الفكر العربي ١٩٧٩ القاهرة.

ويلحق بالرائي السينما .. التي كانت سابقة زمنياً عليه، إلا أنه أصبح وسيلة أفلامها للدخول إلى كل منزل، بالإضافة إلى نصبه في كل شارع وميدان ومصنع. وقد أدت السينما في العهد الأول للنظام الشيوعي في روسيا دوراً مهماً بعد أن أممت صناعة السينما وفرضت الرقابة الشديدة عليها. وقد أُنشئت وزارة خاصة لشؤون السينما، وهذه الوزارة تربي المشتغلين بالسينما وتغذيهم بالمبادئ الشيوعية، وأنشأت لهذا الغرض معهداً للمثلين لتظهر الدعاية الحمراء بصورة أخاذة ومثيرة.. وقد غزت بها سائر البقاع وكانت لها سينما متنقلة غزت فيها الأنحاء النائية في سيبريا ومجاهل الغابات[١].

وقد وضعت روسيا بعد الحرب الثانية برنامج السنوات الخمس، ومن بين ما تضمنته إنشاء ٤٦٧٠٠ دار جديدة للسينما بالإضافة إلى ما أنشئ من قبل حتى عام ١٩٤٠م ما يزيد على ٢٨٠٠٠ دار للسينما..[٢] وكانت موضوعات الأفلام تدور دائماً حول الصراع بين الماضي والحاضر فتسفه الماضي وتشوهه وتمجد الحاضر وتمني في المستقبل..

ولما استقرت الأمور للثورة الشيوعية، جنحت روسيا في أواخر أيام «ستالين»، وبناء على تعليماته، لإبراز مجد القيصرية وعزها القديم لأن روسيا تأبى أن تكون إلا مُستعمِرة وتحكم بوصايا بطرس الأكبر[٣].

٤- التربية والتعليم: عرفنا أن الدعاية تخاطب العواطف لا العقول، وأنها تقوم على الإثارة العاطفية لا العقلية.. ولكن هل يمكننا حقاً الفصل بين مجال المشاعر ومجال العقل في نطاق التعليم؟

---

(١) الدعاية السياسية والاستعلام – الخضاوي – ص ١٩١.

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام الخضاوي – ص ١٩٢.

(٣) حتى عام ١٩٧٤م يوجد (١٤٧) ألف داراً للسينما ثابتة وأكثر من (٣٠) أستوديو لإنتاج الأفلام. (ارجع إلى كتاب : النظم الإذاعية في المجتمعات الاشتراكية ص ١١).

فنحن لا نستطيع أن نقصر وسائل التعليم على العقل وحده دون العاطفة، وأن الغاية من التعليم لم تعد مقصورة على تلقي الحقائق، وإنما أصبح له مهمة تربوية تسعى إلى تشكيل شخصية الطالب وفق ما يريده المربي.. بل إن تعلم الحقائق نفسها لا يخلو من التأثير على العواطف، كما هو الحال في تدريس التاريخ الذي يمكن أن يثير المشاعر أو التحمس للمذاهب التي تؤمن بها الدولة.

ومن هنا افترق مفهوم الدعاية في الفكر الماركسي عن مفهومها الغربي، وأن الدعاية عند الماركسيين يمكن أن تقوم على الإثارة العقلية لا العاطفية – كما هي عند علماء النفس الاجتماعي الغربي – وأن الأولى أليق بالأمم المتقدمة من الثانية – على حد قول المفكرين الماركسيين – ولهذا كان التعليم في النظم الشيوعية يوصف بأنه جهاز دعاية من وجهة نظر الغرب[١]. وباعتبار أن الصغار أكثر استعداداً للتأثر بالدعاية وتقبلها سواء في المدرسة أو في البيت، لهذا كان التعليم في النظم الشيوعية مشبعاً بالعقيدة الشيوعية الملحدة، ومن أول مراحله، أي من رياض الأطفال بتعلم الأطفال حكم ونظريات القادة الشيوعيين، وفي مادة التاريخ بشكل خاص، يتلقاها الأطفال بالصورة التي يريدها المربون هناك من تلميع للثورة على حكم القيصر، وتاريخ لينين وما قام به من الانقلاب الشيوعي.. وكلما انتقل الطفل إلى مرحلة أعلى كلما زادت حصيلته من تلك المعلومات بالإضافة إلى ما يتلقاها في الشارع والنادي ومن وسائل الدعاية المختلفة إلى أن يصل إلى سن معينة فيصبح عضواً في الحزب[٢].

وقد يتساءل البعض: لماذا نطلق على هذا النوع من التعليم دعاية؟ وهل معنى هذا أن كل أنواع التعليم أنواع من الدعاية؟

---

(١) ارجع إلى كتاب الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم – ص ١٠٧.

(٢) الدعاية السياسية والاستعلام – الخضاوي – ص ٢١٠.

وفي الحقيقة ليس كل أنواع التعليم دعاية.. ويمكن أن يكون التعليم لوناً من ألوان الدعاية مادام يستخدم طرق الدعاية، كالكلام المكتوب والمنطوق، ويحاول استمالة العواطف بالتكرار المستمر للشعارات البسيطة وغيرها.. ويكون القصد من التعليم ليس تعويداً لتلاميذ البحث بأنفسهم، بل أن يكون القصد فيه إنشاء عقولاً متشابهة مطيعة لما تستمع إليه وما تتعلمه، وباختصار إيجاد أفراد في قوالب واحدة من الفكر والاتجاه، وهذا هو ما قصده « ستالين » حين يقول: « إننا نريد عقولاً متشابهة، فيجب أن نصل إلى هذه العقول بخلق طراز جديد من النشء، وطراز جديد أيضاً من الرأي العام، وذلك عن طريق نشر المبادئ الشيوعية لغاية واحدة هي جعل عقول الناس متشابهة إلى أكبر حد ممكن. ونحن الرابحون من وراء ذلك، وبتكون العقول المتشابهة يصبح أمر الدعاية سهلاً علينا للغاية، أو بعبارة أخرى يكفي أن نقنع عقلاً واحداً بمبادئنا لكي نقنع كل العقول الأخرى بنفس المبادئ»[1].

(٤) **الدعاية الشيوعية والإسلام**: مهما حاولت الدعاية الشيوعية تلميع وجه الشيوعية وتزيينه بمختلف الأصباغ حتى يحلو للناظرين.. وحتى يُخدع به المغفلون، فإن هذا الوجه زالت عنه الأصباغ، وظهر على حقيقته عدوا للأديان جميعاً وللإسلام بشكل خاص.. وهذا الموقف ظهر جلياً منذ قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧م، إن كان بوسائل الدعاية بكل ما أوتيت من خبث وخداع، أو كان بالقضاء على شعائر العبادة ومراكز الثقافة الإسلامية وتحويلها إلى أماكن لهو في البلاد الإسلامية التي بسطت نفوذها عليها في آسيا الوسطى، مما يشهد به القاصي والداني والقريب والبعيد ولا يحتاج إلى دليل..

واليوم كشفت الشيوعية عن وجهها القبيح أيضاً في عدائها للإسلام والمسلمين في دعمها لليهودية العالمية.. وتمكينها في فلسطين، ومدها بالعنصر البشري الذي لا غنى عنه لليهود لتنفيذ مخططاتهم في التوسع على حساب ديار الإسلام. حتى وصل

---

(١) الإعلام والدعاية – عبد اللطيف حمزة ص ٢٢٦.

عداؤها للإسلام بالاحتلال العسكري لأفغانستان وما جرى فيه من تقتيل وتشريد الآلاف من المسلمين.

وفي هذه الفقرة من البحث أبين الموقف الرسمي للشيوعية من الإسلام ومن ثم طرق الدعاية الشيوعية ومراحلها في حربها المستمرة ضد الإسلام، في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذها وخارج هذه البلاد.

أ- الموقف الرسمي للشيوعية من الإسلام: لقد وقف الشيوعيون الروس، منذ البداية، موقفاً عَقَديًا معاديًا للإسلام، وهم لم يكتموا موقفهم الرسمي، وقد أوضحوا هذا الموقف في هذا المقطع المأخوذ من الموسوعة الرسمية الكبرى المطبوعة عام ١٩٥٣م حيث تقول: « لقد لعب الإسلام دائماً كما لعب غيره من الأديان دوراً رجعياً على اعتبار أنه سلاح في أيدي الطبقة المستغلة، وأداة للاضطهاد الروحي للعمال الذين يستعملهم المستعمرون الأجانب لإخضاع شعوب الشرق»[١].

ب- طرق الدعاية الشيوعية ضد الإسلام: استخدم الشيوعيون وسائل متعددة في محاربة الإسلام، فبعد أعمال العنف والوحشية التي ارتكبتها السلطات الروسية ما بين عام ١٩١٩ و ١٩٢١م في تركستان وغيرها مما آثار المسلمين وقامت حروب طاحنة، وجدت حكومة موسكو أن تبدل سياستها المعادية للإسلام، فأصبحت متقلبة ومرنة وحذرة بالوقت نفسه، إلا أن موسكو ظلت مصممة على القضاء على الدين الإسلامي، وبدأت باستخدام المسلمين أنفسهم من الذين والوا الشيوعية وأصبحوا من مفكريها والداعين إليها، ومن هؤلاء الشيوعيين المسلمين الأوائل « سلطان غاليف»[٢]، وقد كان له تأثير كبير على مصير المسلمين في روسيا، وقد سيطر بمساعدة جهاز من الرفاق، سيطرة مطلقة على الحياة السياسية والثقافية على

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي (مرجع سابق) ص ٢٢١.

(٢) واسمه الكامل: مير سيد سلطان غالييف من بلاد « فولغا الوسطى التترية».

ما دعيت بالجمهورية التترية ما بين عام ١٩٢٠ و١٩٢٣م واستمر هكذا حتى عام ١٩٢٨م حيث حَلّتْ عليه غضبة الحزب للمرة الأولى[(١)].

ويمكننا تقسيم الدعاية الشيوعية ضد الإسلام وفقاً لطرقها المختلفة إلى مراحل زمنية كما يلي: ١- المرحلة الأولى ما بين عام ١٩٢١ - ١٩٢٨م.

٢- المرحلة الثانية ما بين عام ١٩٢٨ - ١٩٤١م.

٣- المرحلة الثالثة ما بين عام ١٩٤١ وحتى الوقت الحاضر.

١- المرحلة الأولى: نشر «سلطان غالييف» مقالا مهماً في مجلة «جيزن»[(٢)] بين فيه طرق الدعاية ضد الإسلام، وذلك باتباع سياسة النفس الطويل للقضاء على الإسلام، ويرسم في المقال الخطوط التوجيهية لهذه السياسة التي ترمي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداما أو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية، ويرى سلطان غالييف «إن مكافحة الدين أمر لازم للشيوعيين لأن الإسلام، مثل غيره من الأديان، سيظل عقبة في طريق بناء الاشتراكية، غير أن هذا الكفاح يجب أن يسير برصانة وحكمة، لأن الإسلام وهو آخر الأديان الكبرى، أقواها وأكثرها عدالة، حتى من «المسيحية» وأن تعاليمه تدخل في عمق حياة المسلمين الاجتماعية وتحمل عناصر تقدمية من الصعب القضاء عليها»[(٣)].

وقد أسهم بعض الرهبان النصارى، بعد أن لبسوا مسوح الشيوعية، في هذه الحرب الدعائية ضد الإسلام، ولبسهم ثياب الشيوعية لابد منه إذا أرادوا أن يبقى هذا الحقد الصليبي ضد الإسلام، وهذا ما قرره زعماء الشيوعية أنفسهم من أن

---

(١) ارجع إلى كتاب «المسلمون في الاتحاد السوفيتي» ص ١٧٩ حيث تفصيل أكثر.

(٢) مقال تحت عنوان: «طرق الدعاية ضد الدين في الأوساط الإسلامية» بتاريخ ١٤/ ١٢/ ١٩٢١. وفي ٢٣/ ١٢/ ١٩٢١ (المرجع السابق ص ٢٢٤).

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٤.

فريق من المبشرين « النصارى خلعوا ثوب الكهنوت وانضموا إلى الشيوعية – لغاية في أنفسهم – لمتابعة العمل الذي بدأوه في ظل الكنيسة الأرثوذكسية في القرن التاسع عشر.. وقد حاولت الدولة الشيوعية إبعاد ظن المسلمين عن نفسها – وهي تشن حرباً على الإسلام من أنها تفعل ذلك استمراراً للحملة الصليبية هذه إلا أن صرف المسلمين عن هذا التفكير كان مستحيلاً، وذلك لما لقوه سابقاً من الرهبان أنفسهم من العداء والحقد ، فكيف إذا أضافوا إلى حقدهم الصليبي حقاً إلحادياً جديداً[١] ..».

ورأت بعد ذلك السلطات الشيوعية، بالاتفاق مع سلطان « غالييف » أنه لابد لها للقضاء على الإسلام، من اجتناب البدء بالدعاية للإلحاد لأن ذلك ينفر عامة المسلمين، المتمسكين بشدة بدينهم، من الإلحاد[٢]. وبالمقابل دعا «سلطان غالييف» هذا ورفاقه رجال السلطة إلى الحذر الشديد، وأن يقدروا أعمالهم ضد الدين تقديراً دقيقاً يلائم وضع كل فريق من الناس، وقد صنف (غالييف هذا) الشعوب الإسلامية في روسيا، من حيث تقبلها للدعاية في كل منطقة، بحسب مستواها الثقافي وقوة تنظيم علماء الدين فيها.. حتى تكون خططهم محكمة في القضاء على الإسلام فيها»[٣].

وفعلاً نفذت حكومة موسكو دعوة (غالييف) في طريقة محاربة الإسلام بادئ الأمر، ولكن ما إن مضت سنوات حتى هاجمته بطريق غير مباشر وذلك بالقضاء على المؤسسات الإسلامية الرئيسية الثلاث وهي:

١- الأوقاف: التي كانت تضمن القوة الاقتصادية للعلماء.

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٤.

(٢) المرجع السابق ص ٢٢٥.

(٣) المرجع السابق ص ٢٢٥.

٢- المحاكم الشرعية: التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة.

٣- التعليم الديني الإسلامي.

وقد شنت هذه الحملات الثلاثة في وقت واحد[١].

المرحلة الثانية: من الدعاية الشيوعية ضد الإسلام ما بين عام ١٩٢٤ و ١٩٢٨م بعد أن حققت حكومة موسكو هدفها في مكافحة الإسلام من غير أن تثير أي مقاومة شعبية أصبح في الإمكان تنفيذ المرحلة التالية، وهو إيجاد مجتمع شيوعي بعيد كل البعد عن الإسلام، ولقد كان العنف هو وسيلة الشيوعية في بداية هذه المرحلة لتنفيذ مآربها.. وبُدِئ بتنفيذ مشروع السنوات الخمس، وحملة مجابهة الإسلام بكل الوسائل التي تملكها الدولة، من وسائل اتصال مختلفة، إعلامية وتعليمية، وقد شنت الحملة في وقت واحد من قبل جميع مؤسسات الدولة.. وبدأت الحملة الدعائية بحيث لا تمس جوهر الدين، وتتوجه للعادات والتقاليد فقط.

ومثال ذلك « إن الدعاة (للإلحاد) اختاروا في أذربيجان، أن يكون هدفهم مراسيم الموت، ومراسيم عاشوراء، التي يحتفل بها الشيعة بذكرى مقتل الإمام الحسين في كربلاء.. فاتخذ الشيوعيون هذه الذكرى وسيلة لحملة شديدة استمرت من سنة ١٩٢٤- ١٩٢٨ ولكنها لم تأت بثمرة»[٢].

ثم شنت الحملة الدعائية على العلماء، واتهمهم الشيوعيون بأشنع الاتهامات، وذلك حتى يحطوا من قدرهم في نظر المسلمين، وعندما يسقط قَدْر العالم في نظر المسلم العادي، يكون هذا داعياً إلى عدم اتباعه في فكره وعقيدته، وهذا هو هدف الشيوعيين البعيد، يقول مؤلف كتاب « المسلمون في الاتحاد السوفيتي » : « واتخذ

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨.

الشيوعيون رجال الدين المسلمين[١] هدفاً لحملتهم أيضاً ونعتوهم بطفيليات المجتمع، وكانت الدعاية الرسمية تسعى في بداية الأمر، إلى الحط من أقدار علماء الدين فقط في نطاق علمهم وتتهمهم بأنهم أئمة غير صالحين ثم تطورت حملة التحقير، رويداً رويداً، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة ١٩٢٦م بالرشوة والسرقة والإجرام، وأخيراً بسوء السيرة وسوء الخلق»[٢].

المرحلة الثالثة: تمتد بين عام ١٩٢٨ – ١٩٤١. في هذه المرحلة طورت السلطات الشيوعية الحاقدة حملتها الدعائية على الإسلام بعد عام ١٩٢٨م وانتقلت إلى المواجهة المباشرة ومهاجمة الإسلام في جوهره وصميمه، « وبدأت حملة مكثفة وعنيفة بلا مواربة ولا هوادة ، وكانت هذه الحملة تسير على وتيرة واحدة في جميع المناطق، سواء المخاطبون رقيقي الإسلام مثل البدو أم كانوا من حضر تركستان وجبال داغستان المتمسكين بشدة بعقيدتهم، وَلُوحِق علماء الدين والمؤمنون لا كطفيليات في جسم المجتمع فقط بل وأعداء للثورة أيضاً، أو أنهم أنشط الممثلين للثورة المضادة »[٣].

واعتبروا بعد سنة ١٩٣١م جواسيس لليابان أو الألمان. وفي الوقت نفسه منعت سلطات موسكو فرضين من فروض الإسلام الخمسة وهما الحج وأداء الزكاة، وهاجمت الفرض الثالث وهو الصيام في رمضان وأخيراً شنت السلطات حملة لإغلاق المساجد، فأغلق أكثرها وأصبحت بناء على طلب العمال (الشيوعيين) نوادي ودوراً للسينما وغير ذلك ...

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٨.

(٢) المرجع السابق ص ٢٣٨.

(٣) المرجع السابق ص ٢٣٨.

وكانت نتيجة هذه الحملة الملحدة الحاقدة، أنه لم يبق سنة ١٩٤٢م من جميع المساجد والبالغ عددها ٢٦٢٧٩ مسجدا إلا ١٣١٢ مسجداً مفتوحاً للعبادة كما قالت الصيحفة السوفيتية (سوفيت نيوز) بتاريخ ٦ أيار ١٩٤٢م[١] مع العلم أن هذه المساجد المفتوحة، هي مفتوحة اسماً أي أنها لم تهدم بعد، ولكن لا يستطيع أحد أن يصلي فيها ولا تفتح إلا لزيارة الرجال الرسميين المسلمين الذين يأتون من الخارج ليتخذها الشيوعيون سبلاً إلى الدعاية[٢].

المرحلة الرابعة: الدعاية الشيوعية ضد الإسلام: بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الحاضر:[٣] وهنا تدخل مرحلة مكافحة الإسلام على الصعيد العقيدي (الأيديولوجي) وليس على الصعيد الإداري أو العسكري كما في المراحل السابقة..

والدافع لهذا الأسلوب من الدعاية، هو أن الإسلام لم يهزم أبداً في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الشيوعي، وإن كان ظاهر الأمر استتباب الأمر للسلطة الشيوعية، وهذا ما صرح به أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبكستاني إذ يقول: « إن انتصار الاشتراكية في بلادنا لا يعني قط زوال بقايا الماضي من غير كفاح»[٤].

ولمكافحة الإسلام (عَقَدياً) تستعين السلطات الشيوعية بسلسلتين من الحجج، أولاهما تصلح لمكافحة كل الأديان على السواء، وهي حجج معروفة لا تحتاج إلى بسط وتُلخص بأن الإسلام مثل غيره من الأديان: « أفيون الشعوب » وينطوي على « أيديولوجية » رجعية ومناهضة للعلم، ويعطي فكرة مضحكة وكاذبة عن

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩.

(٢) المرجع السابق هامش المترجم إحسان حقي ص ٢٣٩.

(٣) المقصود بالوقت الحاضر وقت إعداد الرسالة الجامعية عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م).

(٤) من تقرير نيازوف إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبكي – المرجع السابق ص ٢٧٤ (نقلاً عن جريدة برافد افوسينكا – طشقند ١٩٥٢/٢/٢٤.

المجتمع، ويطبع المرء بطابع الاستسلام والخنوع ويصرفه عن العمل الثوري، وكذلك فإن الإسلام مثل غيره من الأديان سلاح بيد الطبقة المستغلة من الرأسماليين والبرجوازيين .

وهذه الحجج الواهية والمنثورة في عديد من الكتب الشيوعية، لا تحتاج إلى رد لأنها مخالفة لأبسط قواعد الحجج المنطقية، بل مخالفة للواقع والتاريخ « .. وأن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام أفيوناً للشعوب، بل كان ولا يزال دافعاً للحياة والحركة ». ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال ٢٤]

وأما الحجج الأخرى فهي موجهة خصيصاً للإسلام، وهي تكرر ما يقوله الصليبيون والمستشرقون اليهود.. فهي تعرض الإسلام على اعتبار أنه « دين بدائي مضحك وخليط عجيب من العقائد المسيحية واليهودية والوثنية »[(١)].

« وقد وضع أسسه ممثل الإقطاعية التجارية في مكة لكي يبرر دينياً حملات النهب والسلب التي يقوم بها أرستقراطيو العرب»[(٢)].

« والإسلام دين غريب عنا فرض على شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس بالحديد والنار، وظل الإسلام يعمل خلال قرون في خدمة الإمبريالية العربية والإيرانية والأفغانية والتركية وهو اليوم في خدمة الإمبريالية الإنكليزية والأمريكية[(٣)]. وكلام كثير غير هذا مما يدفع الإنسان المنصف إلى التقزز، ويثير السخرية لقائليه.. ومن الثابت تاريخياً، أن تاريخ الأنبياء يؤكد بوضوح بطلان هذه

---

(١) المسلمون في الاتحاد السوفيتي – ص ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٧٥ (من تقرير قدمه « باغيروف» السكرتير الأول للجنة المركزية للحزب الشيوعي في أذربيجان إلى المؤتمر الثقافي الذي عقد في باكوفي ١٤/ ٧/ ١٩٥٠م).

(٣) من مقال نشر في جريدة (قيزل أوزبكستان) باللغة الأوزبكية في طشقند بتاريخ ٤/ ٤/ ١٩٥٢ بعنوان « عن الإسلام وحركاته الرجعية » المرجع السابق ص ٢٧٥).

الافتراءات الماركسية عن الدين، فالدين لم يكن أبداً من ابتداع الأقوياء الأثرياء لتسكين المظلومين وتخدير الضعفاء، وإلهاء الفقراء، فما من نبي إلا ولقي أعتى صفوف المعارضين والعداء من الأغنياء والأقوياء، وما من نبي إلا دعا لما يُؤخَذُ من هؤلاء الأغنياء، لا لما يعطيهم ويزيدهم، ولقد بينا ذلك في باب « نظرة تاريخية»[١]، وتبين لنا موقف الكبراء ، والمترفين من الشعوب المختلفة تجاه الأنبياء على مر التاريخ ، وكيف كان موقف كبراء قريش، وأثرياء مكة، وأغنياء العرب تجاه النبي محمد ﷺ ، وما لقيه منهم من صنوف الآلام والمعارضة لأنه ﷺ ما أرسل ليؤيدهم ويكرس سلطانهم وسلطان أموالهم - كما يدعي الماركسيون - وإنما أرسل ﷺ ليعالج مفاسدهم ويحد من سلطانهم، وينصر المعذبين والمظلومين في الأرض.

والقرآن الكريم يذكر - في مواضع عديدة - أنه ما من نبي أرسل إلا وكان المترفون والأغنياء والكبراء له أعداء ولدعوته من ألد الخصوم.

قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [سبأ ٣٤] وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء ١٦]

ولم ينس الماركسيون، القرآن الكريم، ولم ينج من حقد الشيوعيين فجاؤوا أيضاً بهذيان، لم يقل به عاقل أو منصف.. والقرآن كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وآياته تنطق بالعدل والمساواة.. فقالوا: « إن القرآن يأمر بالظلم وعدم المساواة، وأنه يمدح خنوع المرأة، وأن التشريع الإسلامي عبارة عن مجموعة من القوانين هي أفظع ما عرف الإنسان من ظلم»[٢].

---

(١) الفصل الثاني من هذا البحث.

(٢) من تقرير « باغيروف» المذكور سابقاً - (ارجع إلى المسلمون في الاتحاد السوفيتي - ص ٢٧٥).

ومكافحة الإسلام ونشر الإلحاد عملياً، يقعان على عاتق منظمة تعرف باسم « جمعية نشر المعلومات السياسية » أُنشئت بعد الحرب العالمية الثانية، وهي التي تقوم بحملات الدعاية ضد الإسلام، ومركزها الرئيس في « موسكو » ولها فروع في سائر الجمهوريات، وتحت تصرف هذه المنظمة كل وسائل الإعلام المختلفة، وحتى يمكن إعطاء صورة واضحة لعمل هذه المنظمة لابد من إلقاء نظرة على بعض أعمالها، فمثلاً: نجد الفرع القازاقي لهذه المنظمة والذي يشرف على نشاط خمسة عشر فرعاً إقليمياً و ٢٠٩ مائتي وتسعة فرعاً في المدن والقرى وعلى ٨١٥ ثمانمائة وخمس عشرة مكتباً للدعاية .. نظم خلال ثلاث سنوات (١٩٤٦ – ١٩٤٨) : ٣٠٥٢٨ محاضرة منها ٢٣٠٠٠ محاضرة ضد الإسلام.

وألقت المنظمة في أوزبكستان سنة ١٩٥١م أكثر من ١٠,٠٠٠ عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام . وفي سنة ١٩٦٣م ألقت المنظمة ذاتها في (تركمانستان) أكثر من ٥ خمسة آلاف محاضرة ضد الإسلام.

يضاف إلى الجهود العامة جهود خاصة إذ يقصد أفراد المنظمة الملحدون منازل المسلمين ويجبرون أهلها إلى الاستماع إلى أقوالهم ضد الإسلام.

أما في مجال الكتب فقد طبعت المنظمة خلال ١٩٥٥ – ١٩٥٧م ٨٤ أربع وثمانين كتاباً ضد الإسلام في ٨٠٠,٠٠٠ نسخة وزعتها في المناطق الإسلامية.

وبعد موت (ستالين) اشتدت الخطة على الإسلام ، فقد نُشر خلال عام (١٩٦٢ – ١٩٦٤م) ٢١٩ كتاباً ونشرة ضد الإسلام أو موجهة إلى المسلمين[1] وإن الجهود مازالت كبيرة في مكافحة الإسلام، وما ذكرت هنا على سبيل المثال لا الحصر .

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٦.

وعلى الرغم من هذا الإحصاء المذهل، فإن السلطات الشيوعية تَعتبر أن الأعمال الجارية في مكافحة الإسلام غير كافية، فالصحافة تشتكي كل يوم من عدم مبالاة الطبقة المثقفة المسلمة بالأعمال المعادية للمسلمين، لا بل نفرتهم من هذه الأعمال، كما أن الصحافة تشتكي من انحطاط نوعية الدعاية الملحدة وعدم جدواها، على الرغم من تطوير أسلوب دعايتهم، وانتقالها من مرحلة كفاح الإسلام بشكل عنيف ولاذع إلى ما تسميه السلطات الشيوعية بـ (الكفاح العلمي) و(الكفاح الأيديولوجي).

ويرجع بعض الكتاب عدم جدوى الدعاية الشيوعية إلى أن الكتب الحديثة مكتوبة بأيدي جماعة من (البيروقراطيين) المحرومين من التفكير السليم وهم ما انفكوا منذ سنوات يعيدون على مسامع القارئ بعض الأفكار الساذجة، فثمرة جهودهم هي إدعاء فارغ وإجهاد معاً، وتبعث على ملل لا يطاق[1].

هذا عن الدعاية الشيوعية في البلدان الشيوعية، أما الدعاية الشيوعية في البلدان غير الشيوعية، فنجد أنها منذ قيام الدولة الشيوعية وحتى عام ١٩٥٥م كان الشيوعيون في البلدان العربية خاصة يرددون كالببغاوات ما يقوله أسيادهم في الكرملين « فأخذوا يرفعون نفس الأولوية وينهجون ذات النهج الذي تنهجه الشيوعية الحاكمة، فهاجموا الدين بضراوة ووصفوه بالرجعية والتخلف واتهموه بمحاباة الظلم والظالمين والاستغلال والمستغلين، وبأنه محض أداة في يد أولئك وهؤلاء لتقنين الظلم وتبرير الاستغلال»[2].

---

(١) المرجع السابق ص ٢٧٨.

(٢) الشيوعية والأديان - د. طارق حجي ص ٣٦ - ط ٣ جمادى الأولى ١٤٠٠هـ - أبريل ١٩٨٠م (من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية).

وأما بعد عام ١٩٥٠م، فقد بُدئ بمرحلة جديدة من الدعاية الشيوعية في البلدان العربية خاصة.. وذلك أن الشيوعيين الروس بدأوا أول تعامل جدي مع البلاد العربية بعد صفقة السلاح المصرية «التشيكوسلوفاكية» والتي كانت تشيكوسلوفاكية واجهة للروس ليس إلا . « لقد فتح حاكم مصر وقتذاك أمام الدب الروسي الشيوعي ثغرة واسعة لم يحلم بها من قبل، وما أن ولج الدب منها حتى ألفى أمامه عوالم جديدة كانت أبوابها بالأمس القريب موصدة، وهي عوالم زاخرة بالثروات الطبيعية، - لأبعد مدى - لمنتجات العصر المصنعة، وما هي إلا شهور وسنوات معدودة حتى كانت القدم الروسية قد وصلت لبقاع عديدة في إفريقية وآسيا وأمريكا الوسطى»[١].

وأدرك الشيوعيون الروس أن الوجه الشيوعي القديم لن يُقبل، وخاصة وأن هذه الشعوب مازالت تتمسك بالدين، وهنا أدركوا أنه لابد لهم من لباس قناع جديد، غير معاد للدين في ظاهره» ، وبدأت كتابات الشيوعيين تبشر بتغير موقف الشيوعية والشيوعيين من الدين، فالشيوعية مذهب سياسي واقتصادي والدين عقيدة فقط، ولا مجال للمقارنة بينهما!! كما أن الشيوعية أو الاشتراكية - لا فارق في الحقيقة - لا تتعارض مع الدين الحقيقي! وأن جوهر الدين هو في حقيقته جوهر الاشتراكية!! وأن هناك العديد من نقاط الالتقاء بين الدين الحقيقي» « وبين الاشتراكية»[٢].

وبدأت الصحف اليسارية العربية تتحدث عن اشتراكية الإمام علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري، ونَظَرت إلى الحوادث التاريخية الإسلامية بمنظار ماركسي. والغاية الأخيرة للشيوعية هي تشويه الإسلام - عقيدة - وتاريخاً - ورجالاً -

(١) المرجع السابق ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٣٨.

بالإضافة إلى الهجوم الشرس على دعاة الإسلام وحملته، واتهامهم جميعاً بالعمالة للغرب، وبالانحياز للطبقة المسيطرة، وبالعداوة للإصلاح الاجتماعي الذي تنادي به الاشتراكية – على حد زعمهم – إلخ من تلك العبارات المعروفة والتي درج الشيوعيون – في كل مكان – على ترويجها .. وكما هي عادة الشيوعيين في تشويه الأفراد والجماعات .. ليخلو لهم الجو فيبيضوا ويفرخوا..»[١].

وثيقة مهمة تفضح حقيقة النيات الشيوعية تجاه الدين[٢]: – لعلنا نتعرف على حقيقة الموقف الشيوعي – ظاهراً وباطناً – من الدين – والإسلام بشكل خاص – بمطالعة تلك الوثيقة الشيوعية المهمة التي تفضح سرهم وسريرتهم في هذا الصدد.

« فمنذ حوالي خمس عشرة سنة أعدت الجهات المعنية في الاتحاد السوفيتي بمحاربة الدين وثيقة تضمنت توجيهات للشيوعيين في سائر أرجاء العالم التي مازال للدين بها قدسيته ونفوذه وتأثيره على نفوس الشعوب، وبالذات في البقاع الإسلامية. وقد تسربت تلك الوثيقة إلى أيد غير شيوعية، فتلقفتها وترجمتها ونشرتها، ومنها مجلة « كلمة الحق » في عددها الصادر في شهر محرم من سنة ١٣٨٧ هـ « أبريل ١٩٦٧م » والوثيقة التي أحيطت بقدر هائل من السرية في الاتحاد السوفيتي، إلا أنها تسربت رغم ذلك، ولا تحتاج لأي تعليق أو شرح فهي تظهر – بنفسها وبوضوح تام – جوانب التكتيك الشيوعي الراهن في التعامل مع الدين والمؤمنين به في وقتنا هذا، ولاسيما في البقاع الإسلامية والمسيحية (النصرانية) في العالم الثالث[٣].

وتقول الوثيقة المهمة – إلى أبعد حدود الأهمية – في مستهلها: « برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبرغم الضربات العنيفة التي

---

(١) ارجع إلى المرجع السابق .. إذ يتوسع في هذه النقطة ص (٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣).
(٢) المرجع السابق ص ٤٣.
(٣) المرجع السابق ص ٤٩.

وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام، فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي، صرحوا كما تذكر مجلة « العلم والدين » الروسية في عددها الصادر في أول يناير سنة ١٩٦٤م بما نصه: « إننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية وكأن مبادئ لينين لم تتشربها دماء المسلمين».

« وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً وما يزال يتفجر قوة بدليل أن ملايينا من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام، ويجاهرون بتعاليمه مع أن قادة الشعوب ومفكري المذهب لا يغيب عنهم خطر يقظة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفيتي إذ ذكرت « دائرة معارف الثقافة الشيوعية» أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، ويبذل « أي الإسلام » أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين، ويقدم كل العون للاستغلال. وهو دين جامد حقود على الحضارة والتقدم، وخصم عنيد للاشتراكية، ويناهض الحركات التحررية».

« ومن هذا المخطط أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه وقد قررنا ما يلي:

١- مهادنة الإسلام لتتم الغلبة عليه، والمهادنة لأَجَل حتى نضمن أيضاً السيطرة ونجتذب الشعوب العربية للاشتراكية.

٢- تشويه سمعة رجال الدين والحكام المتدينين واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.

٣- تعميم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل... ومزاحمة الإسلام ومحاصرته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.

وتقول الوثيقة[1]:

---

(١) أرقام الفقرات هذه حسب وجودها في الوثيقة الأصلية.

٦- الحيلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً والعمل الدائم بيقظة لمحو أي انبعاث ديني، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.

٧- ومع هذا لا يغيب عنا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات، ولذا وجب أن نحاصره من كل الجهات وفي كل مكان، وإلصاق التهم به وتنفير الناس منه بالأسلوب الذي لا ينم عن معاداة الإسلام.

٨- تشجيع الكتاب الملحدين وإعطائهم الحرية كلها في مهاجمة الدين والشعور الديني والضمير الديني والعبقرية الدينية، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انتهى عصره، وهذا هو الواقع، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق وستخضع هذه العقود للنظم الاشتراكية. أما الصوم والصلاة فلا أثر لهما في الحياة الواقعية ولا خطر منهما، أما الحج فمقيد بظروف الدولة، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية والحصول على معلومات دقيقة عن تحركات الإسلام لنستعد للقضاء عليها.

٩- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً، وإحلال الرابطة الاشتراكية محل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكيتنا العلمية.

١٠- إن فصم روابط الدين ومحو الدين لا يتمان بهدم المساجد والكنائس، لأن الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدم الضمير الديني ولن يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نجحنا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية، ونجحنا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف والأخبار والمؤلفات، والتي تروج للإلحاد وتدعو إليه، وتهزأ بالدين ورجاله وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر.

١١- مزاحمة الوعي الديني بالوعي العلمي، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي.

١٢- خداع الجماهير بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية فهو فقير ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادحون، ودعا إلى محاربة الأغنياء ، وهكذا يمكننا من استخدام المسيح نفسه لتثبيت الاشتراكية لدى المسيحيين.

ونقول عن محمد أنه إمام الاشتراكيين فهو فقير وتبعه فقراء وحارب الأغنياء المحتكرين والإقطاعيين والمرابين والرأسماليين، وثار عليهم، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل، ونبعد القداسات الروحية والوحي والمعجزات عنهم بقدر الإمكان لنجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم وأوجدها لهم أتباعهم المهووسون.

١٣- في القرآن والتوراة والأناجيل قصص، ولئلا نصطدم بشعور الجماهير الديني ونثيرهم على الاشتراكية، يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً اشتراكياً، فقصة يوسف - على سبيل المثال - يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعور العام ضد الرأسماليين والإقطاعيين والنساء الشريفات والحكام الرجعيين .

١٤- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي، وتجريد هذه القوى تدريجياً من وجدانها.. إلخ.

١٥- إشغال الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأناشيد الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشؤون العسكرية والتنظيمات الحزبية، والمحاضرات المذهبية، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسؤولية التأخر والانهيار الاقتصادي والجوع والفقر والمرض على الرجعية والاستعمار والصهيونية والإقطاع ورجال الدين.

١٦- تحطيم القيم الدينية والروحية بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناهضة.

١٧- الهتاف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة، وأن الثورة هي المنقذ الأول والأخير للشعوب من حطامها الرجعيين، والهتاف للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعود بها جماهير الشعوب الكادحة.

١٨- نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي.

١٩- لا بأس من استخدام الدين لهدم الدين، ولا بأس من أداء الزعماء الاشتراكيين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على ألا يطول زمن ذلك، لأن القوى الثورية يجب ألا تظهر غير ما تبطن إلا بقدر، ويجب أن تختصر الوقت والطريق لتضرب ضربتها، فالثورة قبل كل شيء، هدم للقيم والمواريث الدينية جميعاً.

٢٠- الإعلام بأن الاشتراكيين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين المزيف الذي يعتنقه الناس لجهلهم، والدين الصحيح هو الاشتراكية، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب لتنساق وتسخر لخدمة طبقة معينة، وإلصاق كل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافة، والخرافة تكمن في الدين الزائف لا بالدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

٢١- تسمية الإسلام الذي تؤيده الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح، والدين الثوري، والدين المتطور، دين المستقبل حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه، والاحتفاظ منه بالاسم فقط، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبيعتهم، فليكونوا الآن مسلمين اسماً، اشتراكيين فعلاً حتى يذوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى.

وتقول الوثيقة:

٢٥- الاهتمام بالإسلام مقصود منه – أولاً – استخدام الإسلام في تحطيم الإسلام – وثانياً – استخدام الإسلام للدخول إلى شعوب العالم الإسلامي. ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا أن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بمقوماتها فتذوب على مر الأيام.

٢٦- وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية وتنقيته من الشوائب، وتحت شعار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية.

وتفصح الوثيقة عن أسرار رهيبة فتقول: « وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد، وقد استطاعوا أن يثبوا إلى المناصب الرئيسة في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ووفقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفيقهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجماعي. « ولئن كان من المتعذر جداً توقيت التحرك الثوري إلا أن التمهيد له ينتهي في وقت غير بعيد، ويزداد على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفاعل في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري وحسب تعليماتنا لهم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشك في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للاشتراكية واجهة يقفون وراءها، ويعملون تحت ستارها ما يريدون في أمن وطمأنينة مع اليقظة والحذر دون أن تحوم حولهم الشكوك لأنهم يتسترون بأولئك المسؤولين.

وأنصارنا منبثون في كل الوزارات والإدارات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسعت دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعاً ويزداد تغلغلهم على مر الأيام».

كانت تلك بعض كلمات الوثيقة التي تفضح حقيقة آراء الشيوعيين ونياتهم تجاه الإسلام، وهي حقيقة لا تحتاج منا للتدليل عليها، فما من دارس للشيوعية ومتابع لأصولها ولسيرتها في مجال التطبيق والنشاط العلمي إلا ويدرك إدراكاً كاملاً تلك الحقيقة بكل أبعادها، ولكن ركون الشيوعيين للأقنعة وأخذهم في السنوات الأخيرة في إعلان غير ما يضمرون، واسترسالهم في الكذب والبهتان مع الإعادة والزيادة المعهودة في فنون الدعاية الشيوعية، ما هو إلا لخداع من ليس لهم دراية وتعمق في معرفة حقيقة الشيوعية[1].

---

(١) المرجع السابق ص : (٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠).

ثالثاً: الدعاية الغربية:

تمهيد: أعني بالدعاية الغربية: الدعاية المنطلقة من وسائل الإعلام الغربية في أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي مازال شبح الحروب الصليبية يطاردها... والحقد على الإسلام والمسلمين أساس بنائها... والكذب ، والخداع ، والتشويه، وتحريف الحقائق.. ديدنها .. مهما لبست من أثواب الحقيقة والموضوعية وغيرها من الأثواب البراقة، والتي تغري السذج والبسطاء من أنعام المجتمعات الإسلامية.

وما ينبغي معرفته، أن الدعاية بمفهومها الحديث والعصري من نتاج العقلية الغربية، نظرياً وتطبيقياً .. ولن أتعرض للدعاية وأنواعها والأسس النفسية التي تستند عليها .. لأن ذلك مر معنا في أول هذا الفصل .. ولكن ما أهتم به في هذه الفقرة من البحث هو الأسس الأخلاقية لهذه الدعائية، ودوافعها وموقفها من الإسلام والمجتمع الإسلامي.. ومراحلها قبل الحروب الصليبية وبعدها وثمار هذه الدعاية وما جنت وحصدت في المجتمعات الغربية، والمجتمعات الإسلامية..

- في المجتمعات الغربية حيث شوهت صورة الإسلام، دين التوحيد والعدالة والحرية.. وحولته إلى صورة بغيضة ينفر منها كل إنسان.

- وفي المجتمعات الإسلامية حيث ربت التلاميذ الأوفياء لها وللمدنية الغربية.. فانقلبوا أعداء لدينهم ولمجتمعهم.. ورسل فساد في بلادهم..

(١) **أسس الدعاية الغربية:** قامت الدعاية الغربية على أسس أهمها:

- أن جميع الوسائل والأساليب الدعائية تعتبر جيدة ومقبولة وصحيحة إذا ما أدت إلى التنفيذ الناجح للمهمة المطلوبة.

- يجب على رجل الدعاية أن يعتمد في عمله، قبل أي شيء آخر، على الخرافة والآراء الباطلة، وأن يستغل بصورة مكثفة الانفعالات البشرية ويتوجه بادئ ذي بدء إلى عواطف الناس لا إلى عقولهم.

- أما الأساس الأول، فقد مر بيانه، حين عرفنا الحرب النفسية، وتطرقنا إلى الدعاية بصفتها إحدى أسلحة الحرب النفسية في وقت الحرب وفي وقت السلم أيضاً.. وأنها تستخدم كل الوسائل الممكنة في سبيل التأثير على سلوك الآخرين، دون النظر إلى قيمتها الأخلاقية أو قبولها من قبل الشرائع السماوية. وهي بهذا تسير على منهج « الغاية تبرر الوسيلة » المقولة الميكيافيلية المشهورة.

- وأما قضية الصدق في الدعاية الغربية، فنجده في رأي (لندلي فريزر) و«الدعائي الغربي العالمي[1]» إذ يقول: « الدعاية، تقف من الصدق موقفاً محايداً، فما هي إلا طريقة أو مجموعة من الطرق الفنية التي تهدف إلى تحقيق هدف معين، هو حمل الجمهور الذي توجه إليه على تغيير موقفه وسلوكه، ونحن لا نستطيع القول، كمبدأ مسلم به، أن التزام الصدق يكون أبعد أثراً في تحقيق ذلك الهدف»[2].

أي أن الدعاية لا تلتزم بالصدق إلا إذا كان يحقق أهدافها... ويقول : « إن القائمين بالدعاية قد لا يلتزمون الصدق ماداموا على ثقة من أن الجمهور المعني لا تتوافر له وسائل التحقق مما يقولون»[3].

ويقول أيضاً: « إن القائم بالدعاية قد يستمر في عدم التزام الصدق لو وَجَّه أقواله إلى أشخاص كبار السن يمكنهم الإطلاع على مصادر أخرى للمعلومات، مادام يهدف إلى أمل حيوي عزيز، وهنا يقال « إنَّ الغاية تبرر الوسيلة »[4].

---

(١) هذا الوصف، وصفه به « أمين شاكر » ، مقدم كتاب فريزر « الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم » ترجمة عبد السلام شحاته ، ط. القاهرة - ١٩٦٠. - منشورات جمعية الوعي القومي.

(٢) المرجع السابق ص ١١٦.

(٣) المرجع السابق ص ١١٧.

(٤) المرجع السابق ص ١١٧.

وهذه الأقوال واضحة، لا تحتاج إلى بيان، بل إن الأفعال توضحها أكثر، ذلك أن المجتمعات الأخرى، والإسلامية بشكل خاص، لاقت من وسائل الدعاية الغربية، الويلات، ومازالت تلاقي على يد تلاميذ لها في تشويه العقائد والثقافات، وسنتعرض إلى هذا في حينه بإذن الله...

ويمكن الآن أن نخلص إلى القول: إن الدعاية الغربية اتخذت الكذب والخداع، وتحريف الحقائق، ونشر الشائعات المغرضة، وإثارة مشاعر الرعب، والاستغلال وتلفيق مختلف أنواع المواد، الثقافية والسياسية، المشابهة للمواد الحقيقية، « وفبركة » الأخبار بحيث تخدم مصالحها، بالإضافة إلى أنها « تطعم الأخبار بالشائعات في براعة شيطانية، بحيث يصعب التمييز بين العناصر الحقيقية والعناصر المختلفة مادامت جميعها تنتظم في بناء واحد متجانس ومنطقي في ظاهره»[١].

(٢) **الدعاية الغربية والإسلام** : وإن المرء ليسأل: هل موقف الدعاية الغربية من الإسلام يقوم على هذه الأسس نفسها؟ .. ونستطيع أن نجيب بقناعة تامة: نعم ، بل أكثر من ذلك نقول: إنها قد تقف موقفاً محايداً تجاه العقائد الأخرى، أما إذا ذكر الإسلام، تبدل الموقف تماماً! وأصبح موقف كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر، على صور من التعصب الشديد[٢].

وهذا الموقف نجده عند أكثر المستشرقين خاصة، وعند رجال الإعلام وحتى عند الفرد الغربي العادي، الذي سُمِّمت أفكاره من قبل هؤلاء..

ويسأل المرء أيضاً: لماذا هذا الموقف من الإسلام؟ يجيب « محمد أسد » على هذا السؤال، وهو الغربي الأصل، والعارف المطلع على حقيقة موقفهم بقوله: « إن

---

(١) « الإعلام والاتصال بالجماهير » إبراهيم إمام ص ٢٧٦.

(٢) ارجع إلى: الإسلام على مفترق الطرق – محمد أسد – دار العلمَ للملايين . بيروت – ط ٩ ١٩٧٦ (ص ٥٣).

الحروب الصليبية هي التي عَيَّنت في المقام الأول والمقام الأهم موقف أوروبة من الإسلام لبضعة قرون تتلو» ويبين في تحليل عميق، كيف تكوّن هذا الموقف في عقل الأوروبي وعاطفته: «لقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة لأنها حدثت في أثناء طفولة أوروبا، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات الصنيفة التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً أو باطناً مدى الحياة التالية، وتظل تلك المؤثرات محفورة حفراً عميقاً، حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور المتأخر من الحياة – والمتسم بالتفكير، أكثر من أقسامه بالعاطفة – أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم يندر أن تزول آثارها تماماً... وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فإنها أحدثت أثراً من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي»[1].

(٣) **مراحل الدعاية الغربية ضد الإسلام:** يمكننا تقسيم الدعاية الغربية ضد الإسلام إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى : قبل الحروب الصليبية : وذلك للتهيئة لها.

المرحلة الثانية: بعد الحروب الصليبية : واتخذت شكلين :

أ- الاستشراق . ب- التبشير.

المرحلة الثالثة: في الوقت الحاضر، أسلوبها ووسائلها.

المرحلة الأولى: الدعاية الغربية ضد الإسلام قبل الحروب الصليبية: امتدت هذه المرحلة إلى ما يقارب مائة عام قبل الحروب الصليبية بشكل فعلي[2]، والذي تولى كبر هذه

---

(١) المرجع السابق ص ٥٥ و ٥٦.

(٢) أول من دعا إلى الحروب الصليبية هو البابا سلفستر الثاني سنة ١٠٠٢م (في رواية صاحب كتاب «حاضر العالم الإسلامي» وسنة ٩٩٩م ، في رواية أحمد رضا بك صاحب كتاب الخيبة =

الدعاية البابوات والرهبان، والكتاب والمفكرون والرحالة[١].. والتجار، وزوار بيت المقدس وغيرهم « وقد انتشرت الدعاية وذلك بإثارة البغض والمخاوف من الأعداء، والتحمس للدين»[٢].

وإن زوار بيت المقدس (المقادسة)[٣] والتجار والرحالة، كانت دعايتهم ضد الإسلام تأتي بشكل غير مباشر، وذلك خلال ما يثيرونه من رموز، وإيحاءات وكان ما يصفونه عن بلاد الإسلام يثير الرعب في قلوب النصارى في أوروبا..

فقد كان الرهبان عند أوبتهم لدورهم بعد تأدية فريضة الزيارة للبيت المقدس ينقلون لأبناء جنسهم ما اطلعوا عليه في الشرق الإسلامي، فكان أول شعور يلم إذ ذاك بآبائهم القديسين هو الاستغراب الذي يتولاهم حين يعلمون سرعة انتشار الدين الإسلامي، ويزيدهم رعباً واستغراباً أن تلك الأمصار القاصية عنهم والمحيطة ببلاد القدس مهد الدين المسيحي يسكنها العرب (أي الكافرون برأيهم)[٤].

= الأدبية للسياسة الغربية في الشرق – ترجمة محمد بورقيبة ومحمد الصادق الزمرلي – دار بوسلامة ١٩٧٧ – تونس ص ٦٥) . ولكنه لم يوفق، ثم البابا خريفوريوس سنة ١٠٧٥م لكنها تأخرت حوالي عشرين سنة حتى سنة ١٠٩٧م.

(١) من كُتّاب النصارى ومفكريهم الذين حرضوا على الحروب الصليبية: سانيشوا ومارينو، بيين ديبوا، جيليوم دي نوجاري، ريموند لول بتراك..

وفي كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرناند هايوارد بيان كيف ألب البابوات ملوك أوروبا لحرب المسلمين وكيف حاولوا بأنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية.

راجع « حاضر العالم الإسلامي » تأليف لوثورب ستودارد – ترجمة عجاج نويهض . وعلق عليه تعليقات مستفيضة الأمير شكيب أرسلان – دار الفكر – الطبعة الثالثة ١٣٩١ – ١٩٧١م ص ٢١٨.

(٢) الدعاية السياسية – لندلي فريزر ص ٢٠.

(٣) انظر كتاب (الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق) ص ٥٤.

(٤) المصدر السابق ص ٥٤، ٥٥.

وهم يتصورون أن الخطر الحقيقي في نظرهم مقره الشرق، ويتخيلونه في صورة زحف المسلمين عليهم.. فقد كان ما ينقله المقادسة من الروايات منبهاً لمنازع الكنيسة التي كانت موجهة حنقها وعنايتها على مسلمي الشرق.

« ومما كان يدفع النصارى في توجيه أنظارهم نحو الشرق وجود تراث ثمين ذي شهرة دينية عظيمة خلفه الحواريون وبقي محفوظاً بمدينة أوشليم، هناك يوجد قبر المسيح، حسب اعتقادهم، وكيف لا يعتريهم أشد الحنق والاغتياظ حين تحدثهم أنفسهم بالعار الذي يلحقهم من استبقاء ذلك القبر المقدس في قبضة الذين يعتبرونهم كافرين؟ هذا من موجبات تحديثهم بالشرق، وزد أن اليونان كانوا يؤججون نار الغيظ ويذيعون كل أنواع الأكاذيب لاستنهاض العالم المسيحي ودفعه إلى الإجهاز على الترك »[١].

ثم بعد ذلك بدأت الحملة الدعائية المباشرة ضد الإسلام بوساطة البابوات والرهبان، بعد أن كشف البابا سلفستر الثاني عن آرائه عام ٩٩٩م في الحرب الصليبية التي يجب أن تشن على المسلمين في الشرق.. ولم يهتم بهذه الآراء عظماء الكنيسة والملوك حينئذ»[٢].

إلا أن الأحقاد ضد المسلمين في الشرق، بقيت كامنة في قلوب نصارى الغرب حتى جاء البابا « أوربان الثاني » الذي التقى مع « بطرس الناسك »[٣] عند عودته

---

(١) المصدر السابق ص ٦٤. والترك بعرف الأوربيين هم المسلمون .. لأن الأتراك المسلمين هم الذين طرقوا أبواب أوروبا عدة مرات بعد فتح القسطنطينية..

(٢) المصدر السابق ص ٦٥.

(٣) بطرس الناسك أو (الراهب) : أحد قدماء الجنود اعتنق الرهبانية على أثر ما أصابه من المكاره الزوجية. قال في حقه المؤرخ الفرنسي ميشلي أنه كان يلقب « بكوكو الراهب».
وقد ألصق به كلمة (كوكو) التي تشبه من حيث النطق كلمة أخرى لا يليق التلفظ بها صراحة لأنها تطلق على من كانت زوجته تخدعه من حيث تمكين غيره من نفسها.

من زيارة بيت المقدس، وفي عام ١٠٩٥م عقد هذا البابا مجلساً حضره جميع أساقفة العالم النصراني الذي قرر الدعوة إلى الحرب المقدسة وتشكيل إرسالية لمحاولة تخليص بيت المقدس[(١)].

وقد خطب البابا خطبة، حماسية، أمام جمع كبير من النصارى، أثار فيها النفوس، وأيقظ الأحقاد، وحرض لقتال المسلمين (أعداء الله برأيه)، ووعدهم بالجنة، ومما قاله في هذه الخطبة الدعائية المؤثرة: « اذهبوا وقاتلوا أعداء الله، يالعار المسيحيين ، إن أعداءهم لم يزالوا من عهد بعيد ناصبين سرادقات نفوذهم على سورية وأرمينية، بل ارتكبوا ما هو أدهى من ذلك وأَمَرّ إذ إنهم اختلسوا قبر المسيح ذلك المعهد العجيب لإيماننا»[(٢)].

وقد قوبل الخطاب بهتاف كانت مظاهره البكاء والزفير، فقام الحاضرون بأسرهم وخروا سجداً على قدمي الخطيب. وبهذه التمثيلية المؤثرة بدأت الحملة الدعائية بقيادة البابا والرهبان ومنهم « بطرس الناسك» الذي أخذ يجوب البلاد الأوروبية ويحرض الناس على حرب المسلمين.. وطردهم من البلاد التي وعدهم بها الرب»[(٣)].

ومنذ ذلك التاريخ بدأ زوار بيت المقدس يقصون القصص الكاذبة عن المسلمين في الشرق، حتى يهيجوا النفوس، وتتمكن منها ملامح الانتقام.

ووجد دعاة الحرب الصليبية أن لا وسيلة لإثارة لواعج التعصب النصراني أنجع من ذكر القساوات التي يقاسيها زوار بيت المقدس من قبل المسلمين، ولذلك

---

(١) المرجع السابق ص : ٦٥ – ٦٦.

(٢) ارجع إلى المصدر السابق ص ٦٦– ٦٧ للإطلاع على بقية الخطبة..

(٣) قال ميلي في تاريخه نقلاً عن الراهب فلوري: « من التغرير والتضليل بل من العبث بمعاني الألفاظ أن ندعو بلاد فلسطين إرثاً للمولى أو أنها هي الأرض التي وعد بها أمته، فإنه لا يوجد في كتب الدين ما يشير بأن الله أمر المسيحيين بتشييد المدينة المقدسة». المرجع السابق ص ٧٢.

ترى الرواة لا ينقلون إلا أنين النصارى تحت الشتائم والمعاملات الجافية، وقد نقلت هذه القصص من قرن إلى قرن، وكل ناقل يلبسها ما استطاع من الضخامة حتى أصبحت خرافة تحكي أساطير الأولين[١].

واستغل « بطرس الناسك» هذه الأساطير، وأخذ يتنقل من مكان إلى آخر في أوروبا، فكان يرعد ويبرق في خطبه التي كانت تلتهب حماسة وإثارة على المسلمين، فتثير أحقادهم، وتوقظ نار العداء الكامن في نفوسهم، بالإضافة إلى أن الكنيسة ضمنت للمقاتلين لتخليص ضريح المسيح..حفظ أموالهم وغفران ذنوبهم والسعادة الأبدية في الآخرة[٢].

وهكذا استجاب نصارى أوروبا لدعوة البابا وبطرس الناسك، ويؤكد المؤرخون الأوروبيون أن دوافع القتال متعددة ومختلفة ولكنها أبعد ما تكون عن الدين والأخلاق[٣]. قال الراهب انكتيل في تاريخه: « قليل من الصليبيين كانت لهم غايات دينية حقيقية»[٤].

---

(١) وقد رد على دعاة الصليبية مسيولافيس في تاريخه قائلاً: « فبفضل ما يبدو على العرب من عواطف التسامح كان المسيحيون القاطنون بأورشليم في راحة وهناء بالنسبة لغيرهم، وهناك عدة كتابات تشهد أن كنائسهم ومستشفياتهم كانت زاهرة يانعة ويتصرف أربابها في ثروات طائلة، فلا سبيل والحالة هذه للتصديق بصحة ما تحاول الكنيسة إيهامنا إياه من أن الزوار من المسيحيين يعاملون هناك بالجفاء » المرجع السابق ص : ٧٤.

(٢) المرجع السابق ص ٧٦.

(٣) كتب الراهب فلوري مبيناً الفئات المقاتلة في الحروب الصليبية يقول: « إن حرب الصليب انتهزها غريقوا الذمة فرصة للتخلص من ديونهم، والأشقياء للتخلص مما قضت به عليهم جرائمهم من العقاب، والرهبان الجامحون لتغيير حالتهم والانصراف عن ديورهم، والنساء التائهات للاستمرار بأكثر حرية على التهتك والخناء، ومن هنا يتصور المرء ما كان عليه الصليبيون من اضطراب الحال وارتخاء حبل الأخلاق» . المرجع السابق ٧٧.

(٤) المرجع السابق ص ٧٧.

وفعلاً كان فاقدوا الذمة كالقتلة والفجار واللصوص والنهبة – وهم الذين وجه لهم البابا (أوربان الثاني) خطابه – يصرحون بأنهم يريدون من انخراطهم في سلك الصليبيين غسل جرائمهم في دماء المسلمين، فما يرثى له – حسبما لاحظه فولر – أن يشاهد الإنسان أخبث أعضاد الشيطان ينقلبون مجاهدين في سبيل الله»[(١)].

ونحن هنا لا نريد أن نؤرخ للحروب الصليبية، وما جنت على العالم الإسلامي، بل على العالم كله من ويلات، وما رافقها من وحشية لا توصف من شناعتها[(٢)].

---

(١) المرجع السابق ص ٧٨.

(٢) لم يرو التاريخ أن قوماً بلغوا من الوحشية ما بلغه الصليبيون الذين لبسوا ثوب العقيدة، ورفعوا الصليب شعاراً لهم فقد روت « آن كونين » ابنة إمبراطور القسطنطينية المسيحي : « أن ألذ ملاهيهم – أي الصليبيين – أن يقتلوا جميع الأطفال المسلمين الذين يصادفونهم ويصلونهم ناراً ثم يأكلوا لحومهم» هذه الرواية أيدها المؤرخ الإنكليزي (ميلس) أيضاً قائلاً: إن الصليبيين يأكلون لحم البشر، ففي بلدة إنطاكية ذبح (بهموند) أحد قواد الجيش زمرة من أسرى الأتراك، وشواهم أمام الناس، ثم دعا الحاضرين صائحاً بوجوب إقناع الجوع من الموجود». إن سيرة بهموند المتوحشة وهو حفيد ملك فرنسا (فيليب الأول) تُنبئ عن درجة التوحش التي كان عليها من هم دونه منزلة من حيث التربية والأخلاق. وهم السواد الأعظم، وأيد هذا أيضاً المؤرخان الفرنسيان لافيس ولوشان.

وقد كتب أحد شهود العيان وهو (روبير لوموان) : « أن رجالنا كانوا يجوبون الشوارع ويجهزون على الأطفال والشيوخ» وذلك في مدينة إنطاكية التي تمكن الصليبيون من فتحها بمساعدة أحد الأرمن القاطنين فيها وقتلوا عشرة آلاف تركي وأحرقوا المساجد، ثم أجهزوا على البقية من أهل المدينة في اليوم الثاني.

ارجع إلى المرجع السابق ص ٧٩، ٨٠ وما بعدها للإطلاع أكثر على وحشية الصليبيين...

المرحلة الثانية – الدعاية الغربية بعد الحروب الصليبية: بعد أن حُررت أرض الإسلام من رجس الصليبيين، وطَهرت من أدرانهم على يد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي، ثم على يد صلاح الدين الأيوبي.. أيقن الغرب بعدها، أنه لن يستطيع غلبة المسلمين، مهما ضعفوا حتى ينال أولاً من عقيدتهم وفكرهم.

وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلقي الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس التاسع ملك فرنسا (١٢١٤ – ١٢٧٠م) وقائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة، ووقوعه في أسر المصريين في مدينة المنصورة عام ١٢٥٠م، وقد بذل الملك لويس التاسع هذا فدية عظيمة للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أن لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد وبذل النفس في سبيل الله لحماية ديار الإسلام.. وأنه لابد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية ليأخذوا منها السلاح الذي يغزون به (الفكر) الإسلامي..

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزييف عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد[1].. وهكذا أنتجت الحروب الصليبية ما يدعي بالاستشراق والتبشير، الذي كان طابع وسيلتهما الدعاية الكاذبة، المنطلقة من الروح العدائية التي توارثها الغرب من الصليبية..

ويسأل المرء هل كان عمل المستشرقين والمبشرين لونا من ألوان الدعاية؟

---

(١) الإسلام في وجه التغريب – أنور الجندي – ص ٧، ٨.

وجواب هذا السؤال سيبدو جلياً من خلال تفصيلنا لما قام به كل منهما مما عُدَّ غزواً فكرياً وعقدياً وخلقياً، مازلنا نكتوي بنار هذا الغزو في ديار الإسلام.

أ- التبشير: أما ما يتعلق بالمبشرين، فإن الدعوة التي قام بها المبشرون التابعون للكنيسة الكاثوليكية في القرن التالي على حركة الإصلاح أطلق عليها « دعاية لنشر الدين » . ونستطيع أن نقول بأن الكلمة استخدمت لأول مرة بمعناها الحديث في تلك المناسبة»[1].

وقد وصف « لندلي فريزر » دعوة المبشرين بأنها دعاية قائلاً: « وأوجدت المسيحية لوناً جديداً من الدعاية، فقد نشطت جهود رجالها وأتباعها للعمل على نشرها في أرجاء الأرض وكان ذلك نهجاً جديداً في الدعوة الدينية وفي الدعاية على حد سواء »[2].

وكانت الروح الصليبية هي المحرك للمبشر للعمل على نشر النصرانية، لننظر إلى أحدهم وهو يقول معبراً عن هذه الروح: « ويأتي المبشر تحت علم الصليب يحلم بالماضي، وينظر إلى المستقبل وهو يصغي إلى الريح التي تصفر من بعيد، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسية، وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعيد على أذهاننا قولها بالأمس وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل : إن الله يريدها»[3].

وهناك أهداف سياسية أخرى، يحاول المبشرون إخفاءها، ولكن الحقيقة لا تلبث أن تظهر في فلتات ألسنتهم.

---

(١) الدعاية السياسية – لندلي فريزر – ص ١٤.

(٢) المرجع نفسه ص ١٩.

(٣) « حينما جاء الصليبيون إلى الشرق كانوا يرددون صرخة واحدة: « إن الله يريدها» أي أن الله هو الذي أراد الحروب الصليبية».

– ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار – ص ٣٨.

يقول القس سيمون : « إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا) وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهما في كسر شوكة هذه الحركة. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز الذين هما فيها: إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلاً ضد الاستعمار الأوروبي، ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوربيين في غير مظهر المستعمر، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسبباً من أسباب وجودها، من أجل ذلك قالوا يجب أن نُحوّل بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين»[(١)].

وهذا يظهر خطر الوحدة الإسلامية على الغرب، وأن القوة التي تكمن في الإسلام هي التي تخيف أوروبة .

« وهكذا كان التبشير هو طريق الاستعمار واستعباد الشعوب.. ومما لاريب فيه أن الباعث الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنما هو القضاء على الأديان غير النصرانية توصلاً إلى استعباد أتباعها، ولما بدا لهم أن الإسلام أشد الأديان مراساً لذلك نراهم يتمنون أن ينصّروا المسلمين كلهم. والمقصود الأول بالجهود التبشيرية هم المسلمون»[(٢)].

ويعترف المبشرون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين إلى صفوف النصرانية قد خاب. من أجل ذلك قنع هؤلاء المبشرون أن يكون عملهم قاصراً على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل.

---

(١) التبشير والاستعمار . ص ٣٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٥.

افتراءات المبشرين: لن نرد حتى على افتراءات المبشرين وسخافاتهم التي ملأوا الكتب بها، طعناً في الإسلام ونبي الإسلام.. والتي هي على لسان كل غربي.. حتى بلغت الأمثال.. وحتى أصبحت كلمة « مسلم » تثير الغضب الذي يغمر الشعور الشعبي في أوروبا[١] المتدين منهم وغير المتدين أيضاً .. إذ جاء وقت أخذ الشعور الديني فيه يخبو في أوروبا ولكن العداء للإسلام استمر. ومن أبرز الحقائق الدالة على ذلك أن الفيلسون والشاعر الفرنسي فولتير ، وهو من ألد أعداء النصرانية وكنيستها في القرن الثامن عشر، كان في الوقت نفسه مبغضاً مغالياً للإسلام ولرسول الإسلام ﷺ[٢].

قلنا لن نرد على افتراءات المبشرين، لأن هذا مجال كتب أخرى، ولكننا نقدم بعض النماذج لأكاذيبهم السخيفة، والمضحكة أحياناً، « والذي لاحظناه في مئات مما كتبه المبشرون من الكتب أنهم لا يحجمون عن الاستهزاء والتهكم على كل مظهر من مظاهر الإسلام ثم هم ينكشفون عن جهل فاضح[٣] سندل على بعضه في الصفحات الآتية.

ومن أشد أعداء المسلمين رجل أرمني اسمه لطفي ليفونيان ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام. ومع أن العلم قليل في كتبه، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهكم عليها، ويبلغ بلطفي ليفونيان الجهل إلى أن يقول: إن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنزيه في الله تعالى.

ومن الأمور التي تستحق التفكه بها قول مبشرا اسمه (نلسن) يزعم فيه أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه مأخوذ من النصرانية، وسائر ما فيه أُخذ من

---

(١) الإسلام على مفترق الطرق - ص ٥٩.

(٢) المرجع السابق ص ٦٠.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٣٩.

الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل. ويبلغ التدجيل ذروته بمبشر آخر اسمه (المحترم جون تاكلي) أنه يقول عن المسلمين: يجب أن نستخدم كتابهم (أي القرآن الكريم) ، وهو أمضى سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن نُري هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحاً.[١]

وأشهر هذه الافتراءات أن الإسلام قام بالسيف، وأن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذابح، وكأنهم نسوا وحشية الصليبيين.. وأما المبشرون الذين يتعرضون لشخص الرسول ﷺ بالافتراءات فهم كثيرون جداً، بل كل المبشرين، فقد قال ف . ج . هاربر : إن محمداً كان في الحقيقة عابد أصنام ، ذلك أن إدراكه لله في الواقع « كاريكاتور » ، وسماه بعضهم « كذاب مكة » ومنهم من زعم أن محمداً لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بني عليها دينه الذي جاء به إلى العرب[٢].

وسائل الدعاية التبشيرية: إن وسائل الدعاية التبشيرية تشبه وسائل أي دعاية أخرى، فقد استخدم المبشرون، الصحف والمجلات والكتب، ووسائل الإعلام الأخرى مثل الإذاعة[٣] والرائي (التلفزيون) وغيرها من الوسائل المتجددة.. ويعتمدون أيضاً على الاتصال الشخصي، الذي هو يؤثر أكثر في سلوك الآخرين..

---

(١) المرجع السابق نفسه ص ٤٠.

(٢) المرجع السابق نفسه ص ٤٢.

- وارجع إلى نفس المرجع للإطلاع أكثر على افتراءات المبشرين، التي ملأوا بها الكتب والمجلدات..

ومن هذه الافتراءات كوّن الرأي العام الغربي صورته عن الشرق الإسلامي.

(٣) مثل إذاعة صوت الإنجيل التي تسمع في جميع دول الخليج.

إلا أن هناك وسائل للدعاية أعمق أثراً، وأبعد مدى ، في التاثير على سلوك الآخرين، نستطيع أن نطلق عليها الدعاية بالأعمال الرمزية[١] ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- **التطبيب واستغلال آلام البشر**: سخّر المبشرون الطب في سبيل غاياتهم، وحسبك دليلاً على ذلك قولهم: « حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الآلام تكون الحاجة إلى الطبيب وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير وهكذا اتخذ المبشرون الطب ستاراً يقتربون تحته من المرضى».

« ويقول الطبيب بول هاريسون » في كتابه : « الطبيب في بلاد العرب » : ص ٢٧٧ : « إن المبشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى منطقة (عمان) بأسرها، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجالها ونساءها نصارى»[٢].

«وإن وسيلة التطبيب هي أفضل الوسائل للدعاية بنظرهم .. لأن المريض المتألم يضحي بأعز شيء عنده للتخلص من آلامه .. وأقارب المريض القريبين مثل الأب والأم والزوج والزوجة، تقل في نظرهم قيمة أي شيء في سبيل شفاء قريبهم..

ولقد أدرك المبشرون هذا الميل في البشر، واستغلوه أبشع استغلال»[٣].

٢- **الإحسان**: الإحسان في حقيقته عطف من القوى على الضعيف، عطف يتبدى في صور مختلفة أبرزها وأشهرها دفع المال، ولكن الإحسان قد يجرى مجرى أخرى كالتعليم المجاني، وهبة الثياب والكتب، والمساعدة على إيجاد عمل.. إلخ.

---

(١) توجد فقرة كاملة عن الدعاية بالأعمال الرمزية بعد عدة صفحات ضمن عنوان الدعاية الغربية في الوقت الحاضر. أسلوبها ووسائلها..

(٢) التبشير والاستعمار ص ٥٩.

(٣) ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار للإطلاع أكثر على حيل المبشرين في هذا المجال .. ص ٥٨.. وما بعدها.

لم يكن المبشرون محسنون بالمعنى النبيل الذي نفهمه من الكلمة ولكنهم كانوا يستغلون ما بأيديهم من وسائل الإحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم التبشرية.

ألف جماعة من المبشرين كتاباً اسمه: « أسس جديدة للتبشير » قالوا فيه: « كان التطبيب والتعليم من وسائل التبشير، ويجب أن يبقيا كذلك.

أما أعمال الخير فيجب أن تستعمل بحكمة فلا تنفق الأموال إلا في سبيلها.. يجب أن تعطى الأموال أولا للبعداء، ثم يقلل دفعها تدريجياً كلما زاد اقتراب هؤلاء إلى الكنيسة (أي كلما زاد الأمل بانضمامهم إلى المذهب الجديد) فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخير. ثم يجب ألا نبالغ في الناحية الخيرية في كل حال»[(١)].

والمبشرون عرفوا أن الطريقة المباشرة للدعوة إلى النصرانية لا تجدي مع المسلمين، وهي خطابهم رأساً بأمور العقيدة والتعليم المسيحي، لذلك لجأوا إلى الطريقة غير المباشرة في الدعاية، وهذه هي الطريقة التي تقوم على الإحسان المادي.. وليس ضرورياً أن يكون هذا السبيل ناجحاً في جعل المسلمين نصارى، بل يكتفي بأبعادهم عن الإسلام في أغلب الأحيان.

كتب المتر دوغلاس مقالاً عنوانه « كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر» ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال إفريقية لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحياناً، ثم قال: إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى، لكنها لا تبقيهم مسلمين كآبائهم»[(٢)].

---

(١) التبشير والاستعمار ص ١٩٤.

(٢) المرجع السابق ص ١٩٤ – وكذلك الصفحات : (١٦٥–١٩٦– ١٩٧ – ١٩٨).
للإطلاع أكثر على استخدام هذا النوع من الدعاية في التبشير.. ارجع إلى « الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية (مرجع سابق) الدكتور محمد الهواري « المدخل إلى العمليات النفسية الإعلامية » ص ٦٩.

وأما التعليم المجاني الذي يظهر عليه طابع الإحسان، فإن المبشرين يهتمون به. يعتقد « اليسوعيون »[١] أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية مدرسة صغيرة للفقراء مجانية، لا لتعليمهم في الدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيري بادياً للعيان. إن الفقراء أكثر انقياداً لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء[٢].

أي أن الغاية الأولى هي الدعاية فقط .. وهذه الدعاية تتضمن الاستهواء والاستمالة[٣].. تنتقل بعدها أفكار المبشرين إلى هؤلاء الفقراء..

وهذه النزعة في التعليم المجاني لا ينفرد بها اليسوعيون الفرنسيون وحدهم، بل يتنازعها جميع المبشرين . ولقد استطاع المبشرون المشيخيون الأمريكيون[٤] أن يغلبوا المبشرين الآخرين في هذا الضرب من الإحسان.

وهذه المدارس تقدم الكتب والطعام واللباس أحياناً بلا مقابل[٥].

- أما الوسائل الأخرى من الدعاية التي كان يستخدمها المبشرون، فهي باختصار ما يلي:

١ - **الصحافة:** إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيئه لقبول ما تنشر فيه، بل هي توجد الرأي العام أيضاً، ويعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي

---

(١) اليسيوعيون فرقة من الكاثوليك من أصل فرنسي.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٠.

(٣) ارجع إلى « أسس علم النفس » الكتاب الأول . د. عبد العزيز القوصي . ص ١٥٧. القاهرة ١٩٥٠ لزيادة الإطلاع على معنى الاستهواء .

(٤) المشيخيون : فرقة من البروتستانت.

(٥) التبشير والاستعمار ص ٢١٠.

آخر[١]. على أن المبشرين أنشأوا في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم، فهناك «بشائر السلام» و«الشرق والغرب» في مصر.

ثم هنالك النشرة الأسبوعية التي أنشأها البروتستانت في بيروت وظلت تصدر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وهناك جريدة «البشير» التي كانت تصدر في بيروت والتي كانت تتمتع بحماية فرنسا، إلا أنها توقفت بعد الاستقلال[٢].

ولقد اعتمد المبشرون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت. أما القاهرة فاتخذوه البروتستانت مركزاً لتوزيع المنشورات المسيحية في القطر المصري وفي جميع العالم الإسلامي، كما أنهم أقاموا المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك المطبعة التي أصبحت أهم وسائل التبشير في الشرق كله.

أما اليسوعيون فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ عام ١٨٧١م وقاموا من طريقها بعمل تبشيري في الدرجة الأولى[٣].

٢- **الكتب والمنشورات**: يرى المبشرون أن الكتب والمنشورات النصرانية، أشد الوسائل أثراً في المسلمين وبقطع النظر عن قيمة هذا الأثر الذي يزعمونه فإن سياستهم في إنتاج النشرات تتبع التوجيه الآتي[٤]: يحرص المبشرون في الدرجة الأولى على نشر الكتب الدينية كالأناجيل الأربعة، وعلىنشر أشياء من التوراة، ثم إنهم يطرقون في نشراتهم موضوعات مختلفة ولكن يفرغونها في قالب مسيحي ديني. والمبشرون حريصون كل الحرص على أن يتولى كتابة هذه الموضوعات أشخاص وطنيون لا مبشرون أجانب، أو أشخاص جاؤوا إلى النصرانية حديثاً، لأن هؤلاء

(١) ارجع إلى «الإعلام الإسلامي والعلاقات الدولية» (مرجع سابق) - مقال يوسف العظم ص ٤٧١.

(٢) التبشير والاستعمار ص ٢١٣.

(٣) التبشير والاستعمار ص ٢١٤.

(٤) المرجع السابق ص ٢٤٠ وما بعدها.

يكونون أقدر على فهم عقلية جماهيرهم، وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل يقرب من فهم تلك الجماهير. وفي بعض الأحيان يختار المبشرون موضوعات إسلامية لها مقابل في الديانة النصرانية، ثم يموهون الحقائق ويقفزون فوق الفروق، إن القرآن الكريم يسمي المسيح « كلمة الله » ومعنى ذلك أن الله تعالى ألقى كلمته، أي أمره، بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز في التاريخ، ولكن المبشرون يأخذون « كلمة الله » ليفسرها التفسير النصراني، ووجه الخلاف أن كل شيء في هذا العالم كما يرى المسلمون كان بأمر الله: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس ٨٢] أما النصارى فيعتقدون أن التعبير « كلمة الله » تعبير خاص بالنصرانية يجب أن يفهم على أن المقصود به عيسى ابن مريم وحده، وأنه دال على الألوهية في المسيح.

ولقد تبنى المبشرون الفرنسيون خاصة هذه الطريقة، ثم أكثر من الكلام فيها المستشرق الفرنسي « لويس ما سينيون » الذي يقف علمه واستشراقه على التبشير الديني للوصول إلى أهداف استعمارية، شأن العدد الأكبر من المبشرين المتزيين بكل زي والمتلبسين بكل لباس.

ويرى المبشرون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص، إلى طلبة الأزهر في مصر، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام، وأن الصابئ الأزهري - إذا اتفق ذلك - يكون عوناً للمبشرين على زيادة التغلغل في العالم الإسلامي.

وأما الطبقة الثانية التي يجب المبشرون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النساء، إنهم يزعمون أن المرأة المسلمة محجوبة (عن المجتمع والعالم..) فيجب أن توضع لها كتب تتفق مع حالها وعقليتها ودرجة تفكيرها.

٣- الكشافة والمخيمات: جاء في مقررات مؤتمر المبشرين الذي انعقد في القدس ما يلي[1]: « نحب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار وللصغار قبل أن تتشكل

---

(١) المرجع السابق ص ٢١٤.

عقليتهم وأخلاقهم تشكلاً إسلامياً. إن جميع الوسائط التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تستخدم من جديد لتوقف عقول الصغار وتجلو أخلاقهم، سواء في ذلك ما تعلق بالمدرسة أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة، فمن ذلك مثلاً: الكشفية للفتيان والفتيات - مدارس الأحد (الدروس الدينية التي تعطى أيام الآحاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة) - جمعية الشبان المسيحيين وجمعية الشابات المسيحيات وسواهما من منظمات الشباب - المخيمات والمؤتمرات للطلاب والأندية الرياضية وما يتصل بذلك - بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب (إن هذه البيوت يجب أن تكثر حتى يمكن أن نجتذب هؤلاء الطلاب إلى مملكة المسيح) بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون فقط».

٤- **الإذاعة:** عرف المبشرون أهمية الإذاعة، وأنها وسيلة إعلامية سريعة البث واسعة الانتشار، وأن المذياع يتميز عن غيره من وسائل الإعلام بأنه يخول الإنسان الاستماع إليه وهو يقوم بعمل آخر، مما لا يتوافر لدى قراءة الصحيفة أو مشاهدة الرائي. لذلك استغلت الإرساليات التبشيرية « هذه الوسيلة بشكل كبير. وتقول دراسة[١] أنه يوجد أكثر من خمسين محطة إذاعة تبشيرية في أنحاء العالم. منها محطة في « كويتيو » في الإكوادور بأمريكا الجنوبية وأخرى في « منروفيا » في ليبريا وتسمى إذاعة « ألوا » أسست سنة ١٩٥٤ على يد اتحاد إفريقية، وهي مجموعة إذاعات أمريكية، ويتبع هذه المجموعة إذاعات في وسط إفريقية والشرق الأوسط (أي الشرق الإسلامي) وشمال إفريقية وتذيع بـ ١٥ لغة إفريقية عدا الإنكليزية والفرنسية والعربية.

---

(١) نشرت الدراسة مجلة « الدعوة » السعودية العدد ٦٩٨ ومجلة « الأمان » اللبنانية العدد ٤٦ صفر ١٤٠٠هـ ٢١ / ١٢/ ١٩٧٩ في مقال بعنوان « الإذاعة وسيلة تستخدمها كل القوى .. إلا المسلمين».

وهناك إذاعة « عبر العالم » ومركزها «مونت كارلو» وقد أسست عام ١٩٦٠م بعد نقلها من طنجة، ولهذه الإذاعة فرع في البحر الكاريبي.

وهناك إذاعة أخرى في قبرص أسست عام ١٩٧٤ ثم أسست أخرى في سويسرا في العام نفسه وفي « سري لانكا » عام ١٩٧٦م. وفي آسيا تعمل شركة إذاعة الشرق الأقصى الأسيوية من « مانيلا » في الفلبين، وقد أسست عام ١٩٤٨، وفتح لها فرعان في أوكيناوا عام ١٩٥٨م وسان فرانسيسكو عام ١٩٦٠م وابتداء من عام ١٩٧٩ افتتحت لها فروعاً في سيشل والهند وباكستان، ووضعت لها مقومات في شمال الهند والشرق الأوسط وشرق إفريقية. أما صوت الإنجيل[1]، الذي يبث من « أديس أبابا » في الحبشة بتوجيه من اتحاد الكنائس اللوثرية، فقد استولى عليه الشيوعيون. وآخر إذاعة أسستها الإرساليات التبشرية هي الإذاعة الموجودة في منطقة الشريط الحدودي بين لبنان وإسرائيل، والتي تسمى « بالمغامرة السماوية من صوت الأمل » والتي مولتها مؤسسات تبشيرية أمريكية[2].

٥- **السينما والرائي:** بالإضافة إلى هذه الوسائل، هناك الأفلام السينمائية، والمسلسلات التي تبث في الرائي، كثير منها يخدم أهداف التبشير، وكثير من هذه الأفلام يعرض في وسائل الإعلام الإسلامية..

من هذه الأفلام التبشيرية فيلم « الأفق الضائع » الذي فيه تلميع لرجل الدين النصراني.. فالقسيس في الفيلم يعرف كل شيء، ويسأل عن كل شيء، فيجيب عن

---

(١) يذيع في (١٦) لغة إلى ٢٠ بلداً – أسسته الكنيسة اللوثرية الأمريكية عام ١٩٦٦ – ارجع إلى مجلة المجتمع العدد ٤٥٧ / ١٣٩١هـ النشاط التبشيري .

(٢) بعد توقف بث البرامج النصرانية من راديو صوت الإنجيل في إثيوبيا نتيجة للانقلاب الشيوعي أخذت تسمع هذه الإذاعة في دول الخليج بشكل قوى جداً.. ويظهر أنها فتحت من جديد في إثيوبيا لأن قادتها لا يزالون على صليبيتهم وإن لبسوا ثوب الشيوعية..

الفلك والطب والدين، والراهب أجمل ما في السفينة أناقة وجمالاً.. بينما في المقابل نجد الأفلام العربية تخرج العالم المسلم في صورة مزرية..

وكثيراً من الأفلام تحكي قصة صلب المسيح مثل فيلم « آلام المسيح » الذي عرض في كثير من البلاد الإسلامية، وأفلام « الحروب الصليبية » تظهر بطولات ... الصليبيين ، وانكسار المسلمين أمامهم.. مثل فيلم « ريشارد قلب الأسد» وتغفل من وحشية الصليبيين في قتل النساء والأطفال والشيوخ، بشهادة مؤرخي الغرب أنفسهم..[١].

ب – الاستشراق: وهو المجال الثاني – الذي أفرزته الحروب الصليبية – للدعاية الغربية، والتي كانت هدفها الأول: تزييف عقيدة الإسلام، عن طريق الغزو الفكري المنظم، بناء على وصية « القديس لويس » ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة[٢].

وقد سار التبشير والاستشراق في خطين متوازيين، بل في خط واحد[٣]، يكمل بعضهم بعضاً، وقد استفاد التبشير كثيراً من دراسات المستشرقين، والتي تحتوي على كثير من الأكاذيب والتي تلبس الثوب العلمي وهذه شهادة أحد القسس بعد أن هداه الله للإسلام، والذي عمل كثيراً في مضمار التبشير بالنصرانية بين المسلمين في مصر، وهو « إبراهيم خليل أحمد » في كتابه « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي » وهي شهادة عارف خبير يقول:

---

(١) بالإضافة إلى الوسائل السابقة، أيضاً استخدم الصليبيون أشرطة الكاسيت في نشر النصرانية، وخاصة في إفريقية.

- (ارجع إلى المجتمع) . العدد ٤٥٧ عام ١٣٩٩هـ).

(٢) ارجع إلى الدعاية الغربية بعد الحروب الصليبية من هذا البحث.

(٣) ارجع إلى « الإسلام على مفترق الطرق » محمد أسد – فصل : شبح الحروب الصليبية ٥٢ ط ٩ ١٩٧٧ بيروت.

١- التبشير والاستشراق من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار وخداع لسياسته. وإن ظهروا بوجوه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد منه.

٢- تقاسم التبشير والاستشراق جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام.

فحمل الاستشراق أعباء الأعمال في ميادين المعرفة (الأكاديمية وادعى لبحثه الطابع العلمي العالي، واستخدم الكتابة والتأليف وإلقاء المحاضرات والمناقشات في المؤتمرات العلمية العامة، وكراسي التدريس في الجامعات فألف المستشرقون المؤلفات الكثيرة، وألقوا المحاضرات والدروس الكثيرة وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات الاستشراقية، وعقدوا المؤتمرات وأصدروا الصحف والمجلات، وسلكوا مسالك أخرى كثيرة مما رجوا أن يحقق أهدافهم. وحمل التبشير أعباء الدعوة الجماهيرية.. (وقد عرفنا وسائله في ذلك آنفا..).

٣- من الكتب الجدلية التي يستعين بها المبشر للوصول إلى غايته كتب المستشرقين التالية:

أ- كتاب « ميزان الحق » للدكتور فاندر المستشرق الأمريكي والدكتور سنكلير تسدل.

ب – كتاب « الهداية » ويقع في أربعة أجزاء، وهو يشتمل على مطاعن كثيرة للإسلام وللقرآن الكريم.

ج- كتاب « مقالة في الإسلام » تأليف المستشرق الدكتور سال.

د – كتاب « مصادر الإسلام » تأليف الدكتور سنكلير تسدل.

وهذه الكتب الأربعة تعتبر للمستشرقين والمبشرين من أخطر المراجع للهجوم على الإسلام والقرآن والرسول ﷺ .

٤- يدعو المبشرون والمستشرقون إلى قراءة الكتب ضمن الخطط التي يرسمونها فيؤسسون المكتبات العامة، ودور الطباعة، والصحف،...

٥- الاستشراق والتبشير قام على أكتاف الرهبان والآباء في أول الأمر فإنه لايزال حتى اليوم يعتمد على أولئك وإن تظاهروا برسالتهم الدينية والخيرية(١).

وقد استخلص الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - بعد لقاءاته المباشرة مع عدد من المستشرقين في جولة طاف فيها على أكثر جامعات أوروبة عام ١٩٥٦م ما يلي(٢):

أولاً: أن المستشرقين - في جمهورهم - لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيساً أو استعمارياً أو يهودياً، وقد يشذّ عن ذلك أفراد.

ثانياً: أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية - كالدول الإسكندنافية - أضعف منه عند الدول الاستعمارية.

ثالثاً: أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن « جولد تسيهر(٣) وأمثاله المفضوحين في لقبهم.

رابعاً: أن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنسية ووزارة الخارجية جنباً إلى جنب ويلقي منها كل تأييد.

خامساً: أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية، من كونه أداة هدم للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين.

---

(١) ارجع إلى « المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي» تأليف : إبراهيم خليل أحمد - وكذلك ارجع إلى «أجنحة المكر الثلاثة » تأليف : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني - ص ١١٤ وما بعدها.

(٢) الاستشراق والمستشرقون - الدكتور السباعي ص ٥٧.

(٣) جولد تسيهر : مستشرق يهودي - ألف كتباً كثيرة منها: العقيدة والشريعة .

وسائل الدعاية الاستشراقية: اتبع المستشرقون لتحقيق هدفهم الأول والذي ليس سوى تزييف الإسلام وتشويهه ؛ وسائل الإعلام العادية، وأهمها وسائل النشر، من كتب وصحافة ويمكن إيجازها بما يلي[١]:

١- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، حتى بلغ عدد الكتب التي طبعت في أوروبة وأمريكا بين عامي (١٨٠٠ و ١٩٥٠) نحو ستين ألف كتاب[٢].

وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتعمد في نقل النصوص، أو في فهمها واستنباط المعاني منها، وكثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها، واعتبار بعض الحوادث الفردية لها صفة العموم والشمول لكل الأفراد، ونحو ذلك تضليلات محرومة من المستوى الأدنى للأمانة العلمية.

٢- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم، وقد بلغ عدد المقالات التي تعرضت للإسلام والمسلمين بين عامي ١٩٠٦م وعام ١٩٦٧م حوالي ست وعشرين ألف مقالة، هذا العدد الضخم من المقالات يدل دلالة واضحة عن اهتمام المستشرقين الجدي في تزييف الإسلام.. والتأثير على الرأي العام الغربي.. وقد أُورثت مفاهيم مزيفة عن الإسلام، وصور مشوهة عن المسلمين لم يستطع العقل الأوروبي والغربي بشكل عام أن يتخلص منها حتى اليوم، بل يعتبرها حقائق لاريب فيها.

---

(١) ارجع إلى كتاب « أجنحة المكر الثلاثة » ص ٦٨.

(٢) ارجع إلى مجلة « قافلة الزيت » العدد العاشر المجلد الثامن والعشرون – شوال ١٤٠٠هـ مقال: المستشرقون. وهو تلخيص لكتاب بهذا الاسم لـ (إدوارد وليام سعيد) .. وكذلك مجلة الأمان اللبنانية العدد ١٤ – ٧ جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ – ٤ أيار ١٩٧٦، وفيه مقال لمؤلف الكتاب نفسه فيه تلخيص لكتابه في مجلة (تايم) الأمريكية عنوان المقال: (الإسلام والاستشراق والغرب).

ومن أهم المجلات التي يصدرونها[1]:

أ- في عام ١٧٨٧م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين ألحقوها بأخرى في عام ١٨٢٠م ثم أصدروا « المجلة الأسيوية ».

ب- وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام ١٨٢٣م، وقَبِلَ الملك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت « مجلة الجمعية الأسيوية الملكية ».

ج- وفي عام ١٨٤٢م أنشأ الأمريكيون جمعية ومجلة باسم « الجمعية الشرقية الأمريكية » وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

د- ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن «مجلة جمعية الدراسات الشرقية» وكانت تصدر في مدينة جامبير بولاية (أوهايو) ولها فروع في لندن وباريس ولينبرج وتورنتو في كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن، وطابعها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية. وخاصة في باب الكتب.

هـ - وأصدر المستشرقون الأمريكيون « مجلة شؤون الشرق الأوسط » وطابعها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

و- وأخطر المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون مجلة « العالم الإسلامي» أنشأها « صمويل زويمر »[2] في سنة ١٩١١م.

---

(١) ارجع إلى الاستشراق والمستشرقون – د. مصطفى السباعي . ص ٢٨، ٢٩.

(٢) زويمر : مستشرق مبشر، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام، مؤلف كتاب : «الإسلام تحد لعقيدة» صدر في سنة ١٩٠٨م وناشر كتاب « الإسلام » وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة ١٦١١م. بلكنهؤ في الهند. وتقديراً لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين . (المرجع السابق ص ٣٢).

ز- وللمستشرقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة « العالم الإسلامي» في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وأسمها أيضاً « العالم الإسلامي».

٣- إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين ، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.

٤- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وحتى في البلاد الإسلامية ليدرسوا فيها ما يتيسر لهم درسه من أفكار.

٥- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ أول مؤتمر استشراقي عقد في باريس عام ١٨٧٣م.

٦- إنشاء الموسوعة الإسلامية، وقد أصدروها بعدة لغات، وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام، وقد ملأت بالأباطيل عن الإسلام..[1]».

من أباطيل المستشرقين: عمد المستشرقون إلى تشويه الإسلام من عدة نواح:

أ- رددوا أن القرآن من وضع محمد - عليه الصلاة والسلام - وأن سذاجة الصحابة وإيمانهم دفعهم إلى نقله على أنه من عند الله.

ب- خلطوا في مصادر الأحكام الإسلامية بين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الاجتهاد.. ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسووا بينها في المنزلة!

---

(١) من الموسوعات أيضاً بالإضافة إلى « دائرة المعارف الإسلامية » هناك:
- المنجد في اللغة والعلوم والآداب - للأب لويس شيخو.
- الموسوعة العربية الميسرة. وكلها ملئت بالسموم والشبهات .

ج- ودعوا إلى التصوف الإسلامي لما يؤدي إليه في أكثر الأحيان من صرف أصحابه عن الجهاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم[١].

د- الإدعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية وهو إدعاء باطل ادعاه « شاخت » وأستاذه « جولد تسيهر » اليهوديان بالإضافة إلى أكاذيب كثيرة لا مجال لعرضها هنا، وقد تناولها كثير من الباحثين بالنقد، والرد الدافع ، مما لا مجال للتوسع في بحثنا هذا»[٢].

ومن المهم هنا أن نعرف أن المستشرقين صنعوا تلاميذ لهم في البلاد الإسلامية، اقتبسوا أفكارهم وأساليبهم، ورددوا مفترياتهم على الإسلام.

وقد كان « طه حسين » في مقدمة هؤلاء التلاميذ الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين ، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم.. حتى قال بعضهم: إن طه حسين ليس إلا مستشرقاً من أصل عربي.. وقد كانت أمانتُه للفكر الغربي ولمذاهب الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم، وهكذا كان متابعاً لهم، مقتنعاً بما يقولون إلى أبعد حدود الاقتناع، حتى في تلك المسائل الخطيرة، كقولهم ببشرية القرآن[٣]، وكانت كتاباتهُ توحي بذلك وإن لم يعلنه جهاراً، بعد أن صودر كتابه « في الشعر الجاهلي» وفيه شك بوجود إبراهيم وإسماعيل (عليهما السلام) وأعلن ذلك بالرغم من الإشارة إليها في التوراة والقرآن[٤].

---

(١) « أساليب الغزو الفكري » د. علي جريشة.

(٢) راجع :كتاب « دفاع عن العقيدة والشريعة » للشيخ محمد الغزالي. و« الإسلام في وجه التغريب: مخططات الاستشراق والتبشير» للأستاذ أنور الجندي.

(٣) ارجع إلى « الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد البهي. رحمه الله.

(٤) الإسلام في وجه التغريب ص ٣٦٣ وكذلك : أساليب الغزو الفكري ص ٢٤ وقد كان هذا الإنكار وأمور أخرى سبباً في طرد طه حسين من الجامعة المصرية ومصادرة كتابه « في الشعر الجاهلي» ولكن نفوذ الاحتلال الإنكليزي سرعان ما أعادوه إلى الجامعة ومضى به صُعُداً إلى أعلى المناصب» .

ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين: سلامة موسى، وحسين فوزي، وزكي نجيب محمود، ومحمود عزمي، وعلي عبد الرازق.. وغيرهم في مصر...[١].

وفي لبنان: سعيد فريحة، وسعيد عقل، والآباء المارونيون، وعلي أيديهم رأينا الدعوة إلى العامية، وكتابتها بالأحرف اللاتينية.. وقد لَقَّحت مناهج المستشرقين في البحث والنقد العلمي قرائح كثير من تلاميذ المستشرقين، فنهجوا نهجهم، وأخذوا طريقهم فيما حاولوا من دراسات. وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة، وحملوا نفس الروح التي يحملها أساتذتهم في خصومة الإسلام، وكانوا أشد قسوة من الغربيين»[٢].

وقبل أن أنهي هذه الفقرة من البحث، لابد وأن ننوه أن هناك من المستشرقين المعتدلين من اتسموا بالإنصاف والاعتدال، فمنهم من أخطأ وأصاب، ومنهم من انتهى به البحث النزيه إلى الإيمان والإسلام.

- ويعتبر من الفريق الأول: رينان (الفرنسي) الذي انتهى به بحثه إلى أن السير العربية للنبي محمد ﷺ كسيرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأناجيل المتداولة بين النصارى.

- ومنهم (كارليل) الذي عدَّ محمداً ﷺ في الأبطال وخصه بصفحات كثيرة في كتابه (الأبطال).

ومن الفريق الثاني الذي انتهى به البحث عن الحق إلى اعتناقه الإسلام (اللورد هيدلي) و(أتيين دينيه) « ناصر الدين » و(الدكتور جرينييه الذي كان عضواً في مجلس النواب الفرنسي[٣].

---

(١) المرجع السابق ص ٣٦٣. وكذلك ارجع إلى « القومية الفصحى» د. عمر فروخ.

(٢) أساليب الغزو الفكري ص ٢٤.

(٣) المرجع السابق ص ٢٨.

(٤) أسلوب الدعاية الغربية ووسائلها: تلجأ الدعاية الغربية إلى أساليب مختلفة، من أجل تحقيق أغراضها السياسية والاقتصادية والفكرية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

أ- الأخبار: لقد فطن خبراء الدعاية والإعلام والعلاقات العامة من خلال تجارب الحربين العالميتين إلى أن تأثير الاتصال في الرأي العام يزداد قوة باستخدام الأخبار بدلاً من المقالات الجدلية، والكتابات الإنشائية.. واستخدام الأخبار بطريقة بارعة لأحداث انطباعات معينة في المجتمعات الأخرى، وهذا يعتمد على فن انتقاء الأخبار وأسلوب صياغتها وطريقة عرضها، وإبراز بعض جوانبها دون البعض الآخر[1] ..».

وقد أتقنت وكالات الأنباء الغربية هذا الأسلوب، وخاصة الوكالات الصحفية الأربع: « وكالة الصحافة الفرنسية » و«رويتر» و«أسوشيتدبرس» و«يونايتد برس» والتي احتكرت الأنباء العالمية، واستعبدت وسائل الاتصال في العالم، حيث يقع القارئ ضحية رؤية معينة تمليها تحليلات أحادية الجانب، لكنها متقنة في الصياغة، وبارعة في الإثارة بعيدة كل البعد عن القيم الأخلاقية.. بالإضافة إلى أن الخلفية العقيدية تؤدي دوراً مهماً في (فبركة) الأخبار حسب مصالح الغرب[2]. وخاصة إذا كانت هذه الأخبار تتعلق بالمجتمعات الإسلامية فإن الروح الصليبية هي التي تنطق في هذا المجال.. وتلجأ وكالات الأنباء إلى تلفيق شهود العيان، وإلى أنَّ مصادرها: الأخبار الموثوقة فتقول مثلاً: « جاءنا من مصدر موثوق ما يلي...» ما هو هذا المصدر الموثوق؟ لا تذكر ذلك.. أو تقول: « وصف لنا شهود عيان تلك الحادثة بما

---

(١) الإعلام والاتصال بالجماهير . إبراهيم إمام . ص ٢٢٥.

(٢) فالإذاعات الموجهة من « هيئة الإذاعة البريطانية » مثلاً تمولها وزارة الخارجية لذلك تعكس وجهات نظرها.. !! وقسم الإذاعات الخارجية أنشئ عام ١٩٣٨م وكانت اللغة العربية هي أولى اللغات التي تبث إلى الخارج من هيئة الإذاعة البريطانية (انظر مجلة المجلة) (العدد ٨٦ – السبت ٥ ذي الحجة ١٤٠١هـ) .

يلي...» من هم شهود العيان؟ أيضاً لا تذكرهم .. وكذلك تلجأ إلى دس خبر كاذب بين خبرين صحيحين لتقويته ونشره لغاية في نفسها..

وإذا كان الخبر صحيحاً ، ولا مجال لتحويره، تلجأ الوكالة أو الإذاعة إلى تفسيره بما يلائم مصلحتها، وذلك بأن توصم القائمين بالحدث الذي تنقله بصفات سيئة، منفرة، فهي مثلاً عندما تتحدث عن حركة الطلاب الجامعيين في بلد إسلامي. تصفهم بالمتعصبين أو المتزمتين .. ويدرك القارئ إيحاء هذه الصفة وما تعني.. وما يؤسف له أن صحفنا العربية تنقل حرفياً هذه الأخبار في صحفها دون أي تعديل، والأمثلة كثيرة ولا تحتاج إلى برهان إذ إن نظرة واحدة على صحفنا تكفي في هذا المجال.

وقد برعت « الإذاعة البريطانية[١] » بهذا الأسلوب من نقل الأخبار ودس السم في الدسم، وتلفيق شهود العيان، وتشويه الأخبار وتحويرها وتفسيرها حسب مصالح « بريطانيا العظمى »[٢] خاصة والغرب والصهيونية عامة[٣] على الرغم مما تدعيه من حياد ونزاهة وموضوعية..ومازال المسلمون يذكرون موقفها عام ١٩٥٦م إبان الاعتداء الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م ، وكيف أسفرت عن وجهها وتسمت باسمها الحقيقي[٤] وكذلك موقفها إبان حرب رمضان عام ١٩٧١م وكيف

---

(١) « هيئة الإذاعة البريطانية» حصلت بموجب مرسوم ملكي عام ١٩٢٧م على احتكار البث الإذاعي والتلفزيوني فيما بعد في جميع أنحاء بريطانيا – وقسم الإذاعات الخارجية – ومنه الإذاعة باللغة العربية الذي تكلفت وزارة الخارجية البريطانية بتمويله أنشئ عام ١٩٣٨م.

(٢) على الرغم مما يقال من أن صلاحيات وزارة الخارجية – الممولة للقسم الخارجي – مقصورة على تحديد عدد اللغات الأجنبية التي يبث بها، وعدد ساعات البث، إلا أن نفوذ الوزارة واضحاً في كل ما تبثه الإذاعة (المجلة العدد ٨٦) – ٥ ذي الحجة ١٤٠١هـ.

(٣) النفوذ الصهيوني في الإذاعة البريطانية لاشك فيه وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (انظر المجلة – العدد ٨٦ مقال : تقرير خطير عن الإذاعة البريطانية).

(٤) كانت الإذاعة البريطانية قبل عام ١٩٥٦م (أي قبل الاعتداء الثلاثي) تسمى باسم (محطة الشرق الأدنى للإذاعة العربية) ثم تسمت باسمها الحقيقي: الإذاعة البريطانية من لندن.

اشتركت مع الإذاعة اليهودية في شن الحرب النفسية على القوات السورية بإذاعتها الأخبار الكاذبة لإضعاف الروح المعنوية للجيش[١].

٢- **الدعاية بالأعمال الرمزية**: مما لاشك فيه أن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وهذا الأمر معروف في الدعوة الإسلامية بشكل خاص، إذ الدعوة بالقدوة الصالحة أبلغ تأثير من الكلام[٢] .. وإن كان لابد من الكلمات، فيجب أن تواكب العمل الرمزي.. وقد نجحت كثيراً الدعاية الغربية في هذا المجال، إذ إن المساعدات الاقتصادية[٣] وخاصة المساعدات الغذائية (كالقمح) مثلاً من وسائل الدعاية الرمزية للولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص[٤]، وكذلك المساعدات « الإنسانية » مثل عمليات الإنقاذ والإغاثة أثناء الأزمات والزلازل والفيضانات كلها أعمال رمزية يقصد منها الدعاية في أكثر الأحيان.

ومن الأعمال الرمزية أيضاً، تحريك الأساطيل البحرية من مكان إلى آخر ويقصد به الإرهاب والتخويف للدول الأخرى، وخاصة إذا رافق هذا التحريك الدعاية والشائعات حول احتلال مناطق معينة[٥].

---

(١) مازال المستمعون العرب يذكرون التقرير الملفق الذي نقله مراسل « بي . بي . سي الصهيوني» مايكل الكنز عن القيادة اليهودية في فلسطين المحتلة إبان حرب رمضان، وادعى فيه سقوط قرية « سعسع » السورية التي كانت تشهد معارك طاحنة ، وكانت الغاية استغلال موجات الإذاعة البريطانية الموجهة للتأثير على معنويات القوات السورية (التقرير المذكور آنفاً في مجلة المجلة (العدد ٨٦).

(٢) انتشار الإسلام في الشرق الأقصى (إندونيسيا ، وماليزيا، وفطاني جنوب تايلند). كان بالقدوة الصالحة للتجار المسلمين..

(٣) ارجع إلى كتاب « التبشير والاستعمار » ص ١٦٦، ١٦٧، ١٩٨).

(٤) وتصر الدول المساعدة على كتابه « هدية من الشعب الـ ... » على الركائب .. وهذه دلالة على المقصود من المساعدات.

(٥) لم ننس بعد تحركات الأسطول الأمريكي في المحيط الهندي عام ١٩٨٠م والشائعات التي روجتها وسائل الإعلام الغربية حول احتلال الخليج العربي..

وقد استخدم « التبشير هذا الشكل من الدعاية بأسلوب أعمق أثراً في النفس الإنسانية، فقد استخدم « التبشير » التطبيب ، واستغلال آلام البشر لنشر دعايته، وكذلك استخدم التعليم والإحسان في هذا المجال لتميع وجه المبشرين في نظر الآخرين»[١].

٣- **استخدام الدعاية الرمادية**: وهو أسلوب برع فيه الأمريكيون منذ الحرب العالمية الثانية، وقد مر معنا آنفاً كيف أن الدعاية الرمادية معروفة المصدر، إلا أنها ترمي إلى غايات ملتوية، فهي تلجأ إلى مدح العدو بقصد ضربه مثلاً، وكذلك برع في هذا النوع من الدعاية الشيوعيون بالإضافة إلى ربيبة الشرق والغرب « إسرائيل» .. وقد استخدم الغرب هذا الأسلوب من الدعاية في ضرب الحركات الإسلامية في العالم العربي[*].

٤- **الأفلام السينمائية**: وهذه تؤدي دوراً مهماً أيضاً في الدعاية الغربية، وخاصة بعد أن دخل الرائي إلى كل بيت، في مجتمعاتنا الإسلامية.. فالسيل من الأفلام الغربية، عم جميع وسائل الإعلام المرئية في البلاد الإسلامية.

وهذه الأفلام سُخِّرت لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، وتحطيم الأخلاق .. والعقائد الدينية...

حتى الأفلام التي ليس فيها ما يثير من الناحية الأخلاقية، نجدها دعاية لتقدم الغرب، واهتمامه بجميع الأمور، الاقتصادية والاجتماعية وغيرها..

أو لإظهار الإنسان الغربي بمظهر القوي الذي لا يغلب[٢] وإظهار الأُسر الغربية بشكل مثالي نموذجي.. يغاير واقع المجتمع الغربي تماماً...

---

(١) ارجع إلى كتاب « التبشير والاستعمار » ص ١٩٦ وما بعدها للإطلاع بتوسع على الدعاية الضخمة التي ترافق المساعدات الاقتصادية واستغلالها لغايات تبشيرية.

(*) انظر الفصل الرابع من هذا البحث.

(٢) المسلسلات التلفزيونية : السوبرمان، ستيف.. وغيرها...

وكذلك الأفلام التي تمجد أعداء الإسلام من اليهود، وتمجد التاريخ اليهودي وتبرر احتلال فلسطين، وأنها أرض الميعاد .. وكذلك الأفلام التي تحكي حياة الأنبياء، مثل حياة المسيح - عليه السلام - .. وتبين خرافة الصليب .. ولقد خدمت السينما الغربية المبشرين والصهيونيين كثيراً، بآلاف الأفلام منها ما عرض في البلاد الإسلامية ومها ما عرض في البلاد الغربية فقط..

٥- **التعتيم والتمويه**: وأسلوب آخر من أساليب الدعاية الغربية هو التعتيم.. وعدم نشر الحقائق إلا بمقدار ما يخدم مصالحها..

فأخبار ما يتعرض له المسلمون في العالم، لا تذكرها، ولا تطلع العالم عليها إلا ما ندر وأحياناً تنشر الأخبار التي تعيقها، أو تشوهها، أو تصورها بغير صورتها الحقيقية، وغايتها طمس الحقائق عنها، والسكوت على الجرائم التي ترتكب ضدها.. ومن ثم إعاقة امتدادها، وعدم مناصرتها من قبل الدول الأخرى المتعاطفة معها..»[١].

أما التمويه، وتسمية الأمور بغير أسمائها الأصلية، فتهدف منه الدعاية الغربية، إبعاد الآخرين عن جوهر المشكلة، وتوجيههم إلى أمر آخر، يصرفهم عنها تماماً..

ومن الأمثلة على التمويه في الدعاية الغربية:

- تسمية وجود « إسرائيل » واغتصابها لفلسطين، بمساعدة الغرب، بمشكلة « الشرق الأوسط »[٢] وذلك لأبعاد الضمير المسلم عن واقع المشكلة.. لأن ذكر فلسطين، والقدس تثيران في المسلم مشاعر خاصة تدفع المسلم إلى الجهاد لتحريرها من مغتصبها.

---

(١) مذابح المسلمين في الفليبين وأثيوبيا وأرتيريا والصومال والهند لا تعتبر سوى قضايا ثانوية في منظور الإعلام الدولي، لذا فإنه يتجنب تناولها لأنها لا تخدم قضيته... ويجب أن تبقى في عالم الظلام ومن ثم النسيان.

(٢) إن كلمة « الشرق الأوسط » يقصد بها تلك المنطقة التي تمتد من مصر حتى إيران شرقاً وحتى تركيا شمالاً . (ارجع إلى كتاب الحرب النفسية في المنطقة العربية - د. حامد ربيع ص ٥ بيروت ١٩٧٤م.

- وهذه التسمية أيضاً وسيلة لإبعاد القوى الإسلامية في « الشرق الأدنى والأقصى والعالم كله عن الارتباط بالمشكلة، وعندما تسمى بهذا الاسم، فكيف نفرض على المسلم في المناطق الأخرى من العالم أن يشعر بأن المشكلة مشكلة أيضاً بصفتها ترتبط باغتصاب جزء مقدس من أرض الإسلام؟ وهكذا تُصَفَّى القضية وكأنها قضية محدودة من غير مواجهة المشكلة بأبعادها الحقيقية.

- ومن الأمثلة الأخرى على هذا التمويه « تصوير معركة الإسلام مع أهل الباطل بصورة المعركة القومية أو الوطنية أو الاشتراكية، أو رفع رايات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، مع العلم أن المعركة، معركة عقائدية مصيرية وهدف الدعاية الغربية هو إطفاء شعلة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين وخداعهم، وإبعادهم عن سلاح النصر في هذه المعركة، مع أن الغرب الصليبي كله يعامل المسلمين على أنهم أمة واحدة.. فلا فرق عنده بين هندي وعربي، أو إيراني أو غيره من بلاد المسلمين.. ونحن نشهد نموذجاً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية أن تخدعنا عن حقيقة المعركة، فتزعم لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار.. كلا.. إنما كان الاستعمار الذي جاء متأخراً هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفور كما كانت في القرون الوسطى! والتي تحكمت على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شتى العناصر.. العناصر التي نسيت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة»[١].

٦- **التزييف والتشويه:** ويقصد بالتزييف هنا هو تصوير الأمور بشكل جزئي ومشوه ومغلوط، وهكذا يصبح الحق باطلاً بعد أن يلبس ثوبه – والباطل مكروه من قبل كل إنسان – وبهذا الأسلوب تُبقي وسائل الإعلام والدعاية في الغرب على الروح العدائية بين الإنسان الغربي والإسلام ، والتي توارثها منذ الحروب الصليبية[٢]..

---

(١) معالم في الطريق – ط دار الشروق (بدون تاريخ) ص ١٨٦ (آخر فقرة من الكتاب)..

(٢) ارجع إلى « الإسلام على مفترق الطرق » محمد أسد – فصل : شبح الحروب الصليبية.

ويتناول التشويه الدعائي الغربي، في السنين الأخيرة عقيدة المسلمين وحياتهم وأنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونضرب مثالين على ذلك:

المثال الأول: في تشويه العقيدة والتشريع، حيث لوحظ تركيز إعلامي غربي على الحدود في الشريعة الإسلامية، وكرس الرسامون الخبثاء في بعض الصحف الدولية أنفسهم لإبراز رسوم «الكاريكاتير» وهي تتناول بعض هذه الحدود كقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن لتشويه سماحة الإسلام بإظهار هذه الحدود بالمظهر الوحشي الذي ينمي غريزة الحقد في العالم الغربي على عقيدة الإسلام والمسلمين.

المثال الثاني: ويتناول الجهد الإعلامي الدولي (الغربي بشكل خاص) في تشويه قضية المسلمين مع اليهود في فلسطين والأراضي العربية المحتلة، وهذا الجهد مازال حتى الآن يركز على:

- الأصول اليهودية التاريخية المزيفة في فلسطين.
- الاحتلال العربي زمن عمر بن الخطاب.
- الوحشية الإسلامية العاملة على طرد اليهود من أراضي أجدادهم.
- والوداعة والسلام والثقافة والحضارة عند يهودي الأراضي المحتلة..

كل هذه الصور المشوهة، تعمل على تبديل الحق بالباطل، بينما يقف الإعلام في العالم الإسلامي موقف المتفرج في أغلب الأحيان[1].

٧- **التحريض**: تقوم الدعاية الغربية في وسائل الإعلام الغربي والدولي أيضاً بدور التحريض على العالم الإسلامي وعلى الدعوة الإسلامية بشكل خاص.. وهناك شواهد كثيرة على هذا التحريض، ولا يمر يوم دون أن يرى المراقب المسلم عناصر التحريض الإعلامي على العالم الإسلامي، ومن أبرز عناصر هذا التحريض كما يلي:

---

(١) ارجع إلى مجلة (المجتمع) الكويتية – العدد ٤٨٦ – تاريخ ١٠ شعبان ١٤٠٠هـ .

أ- طرح الإعلام الغربي ولاسيما الإعلام الصهيوني في أوروبا وأمريكا لقضية أعداد المسلمين في العالم على أنها قضية مُرعبة للعالم الغربي.

ب- دور العقيدة الإسلامية المتمكنة من نفوس المسلمين تؤدي دوراً أولياً في وحدة المسلمين ووقوفهم أمام التيار الغربي الغازي ولهذا خطره على مصالح الغرب في العالم الإسلامي.

ج- فكرة الجهاد عند المسلمين ودورها في تكوين الجماهير الصلبة التي بدأت تنادي من جديد بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله في حياة المسلمين.

ولهذا خطر كبير على الأنظمة في العالم الإسلامي التي عرفت بولائها للغرب وتفهمها لمصالحه[١].

د- إمكانية المسلمين المستقبلية في نزع الدويلة اليهودية ودور عقيدة المسلمين المستمدة من القرآن والسنة في ذلك.

(٥) صورة المسلم في الإعلام الغربي: وحتى تتكون عندنا صورة كاملة للدعاية الغربية، لابد من تبيان الثمار الفاسدة التي أثمرتها هذه الدعاية، في المجتمعات الغربية خاصة، والمجتمع العالمي عامة.. فقد كونت صوراً مشوهة للمسلم، بل مضحكة أيضاً، ومما يؤسف له، أن الإعلام العربي ساعد في تركيز هذه الصورة في أذهان الجماهير الساذجة، البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح، باعتبار أن كثيراً من وسائل الإعلام العربية والإسلامية مازالت عبيدة لوكالات الأنباء الغربية، فهي تنقل عنها حرفياً، دون تمعن فيما تنقل.

---

(١) ارجع إلى مجلة (المجتمع) العدد ٤٤١ - تاريخ ٢٠ جمادى الأولى ١٣٦٦هـ - مقال: ((الصحف الغربية تثير حكام المسلمين ضد شعوبهم)). وكذلك العدد ٤٨١ - ٥ رجب ١٤٠٠هـ - مقال: ((حرب الشائعات ضد الحركة الإسلامية)). ومقال : ((صحف الغرب تهاجم الإسلام)). في (المجتمع) العدد ٤٨٥ - ١٤ ربيع الأول ١٣٩٩هـ .

ومن هذه الصور التي ترددها وسائل الإعلام الغربية، وغايتها الدعاية فقط، لاستهواء عقول الناس وقلوبهم ما يلي[1]:

١- صورة الغني السفيه الذي يملك مالا هائلاً، ولا يعرف كيف يتصرف به، ولذا يجب أن تكون عليه وصاية في ماله، فصورة المسلم هو الغني أكثر من اللازم.. مع العلم أن أكثر المجتمعات ترفاً هو الشعب الأمريكي ومثال ذلك: رجل يملك كلباً خصص له صاحبه سيارة خاصة وسائق خاص وطباخ وله جناح خاص في البيت، وعندما مات هذا الرجل ترك خمسة آلاف دولار وهبها للكلب.

فالواقع نحن لسنا أغنياء حقيقة، بل في حالة متوسطة.

٢- صورة الهمجي الجالس وراء برميل النفط يهدد حضارة الغرب بزيادة الأسعار.

٣- صورة العقال والجمل والإعلام العربي يسهم في هذه الصورة.

٤- صورة المزواج الشهواني .. مسلم يجر وراءه طابور من النساء، أو مسلم يملأ بيته بالإماء، أو مسلم ينثر الدنانير على أفخاذ غانية.

٥- صورة المتعصب المتشدد، فالإعلام الغربي يصوغ الخبر كالآتي:

- قام مسلمون متشددون بكذا..

- قام الطلاب المتعصبون في جامعة أسيوط بمظاهرات..

وصحفنا تنقل الخبر حرفياً دون تعليق...!

٦- صورة القاتل الظالم المتحمس للدم والقتل.. والأولى أن تكون هذه الصورة للإنسان الصليبي الحاقد على الإسلام مما شهد به كتابهم وعلماؤهم، وهذا واقعهم أيضاً يشهد بذلك في كثير من بلاد المسلمين..

٧ - صورة العاجز عن التفكير المنهجي: يقولون : إن العقلية الغربية هي العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً، أما غيرهم من

(١) زين العابدين الركابي – من محاضراته التي ألقاها عام (١٣٩٨هـ) على طلبة السنة الثالثة – في المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض.

الشعوب – وخاصة الإسلامية – فإن عقليتهم ساذجة بسيطة ، أو بالأصح «ذرية» كما عبَّر بذلك المستشرق « جب» في كتابه « وجهة الإسلام » ويقصد بذلك أن – العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كلياً[١].

– وأن عقلية المسلم خرافية – فهو يعتقد أن الأرض محمولة على قرن ثور.

– وأنه وثني يعبد محمداً ﷺ وأن محمداً ربط اسمه بسم الله في الشهادة وأنه أمر المسلمين أن يقلدوه في كل شيء.

٨– يصور المسلم بصورة المحتقر للمرأة المضطهد لها.. المرأة في الإسلام أقل من الرجل، المراة لها نصف الميراث، وهي مسجونة في البيت، وكل همها إرضاء نزوات الرجل، ومع الأسف أن المسلمين يعينون على تشويه صورتهم.. مع العلم أن الإسلام هو الذي كرم المرأة وخلصها من نير العبودية الجاهلية..

٩– يصور المسلم بصورة تاجر الرقيق... وفي إفريقية تتعمد الكنائس تصوير المسلم بهذه الصورة..

١٠– في الولايات المتحدة ، وارثة الإرث الاستشراقي، وظَّفت هذا الإرث في إعلامها، وجامعاتها، وثقافتها الشعبية وسياستها الاستعمارية فصورت المسلم في الأفلام السينمائية والكاريكاتورية كغوغاء متعطش للدماء أو ذوي أنوف معقوفة أو كالساديين[٢] الفساق[٣].

---

(١) الاستشراق والمستشرقون – د. مصطفى السباعي ص ٦٢.

(٢) السادية (أو جنون القسوة) : وهي الميل إلى التعذيب في نفس المعذب، وقد دعيت بالسادية نسبة إلى (الفونس دي ساد) وهو كاتب فرنسي اشتهرت عنه هذه النزعة، والسادية هي لفظة تطلق في معنى واسع على النزعة إلى القسوة بصورة عامة. (ارجع إلى معجم مصطلحات علم النفس) – (منير وهيبة الخازن) . ص ١٣٠ دار النشر للجامعيين – بيروت.

(٣) مجلة (الأمان) البيروتية – العدد ١٤ ٧ جمادى الآخرة ١٣٩٩هـ .

مقال: الإسلام والاستشراق والغرب للدكتور أدوار سعيد – ترجمة المجلة..

وبمقابل هذه الصورة القبيحة للإنسان المسلم، تصور الأمريكي، بأنه إنسان طموح، يلم بكل شيء، لا يُخدع ولا يستطيع أحد الضحك عليه، ويظهر بمظهر المروءة (إطفاء الحريق ، إنقاذ المرأة ...) .

هذه الصورة للرجل الأمريكي لا تعرض عفوياً، إنما تعرض بصورة منظمة، وإذا عرفنا أن أمريكا تصدر أكثر من ٢٠٠ ألف ساعة « برامجية تلفزيونية» كل عام ... تغزو أكثرها الدول العربية والإسلامية .. سندرك مقدار تأثير هذه الدعاية في المجتمعات الإسلامية.